العدد الثالث مارس 2016

قلم ومدان

فكر ثورة .. ثورة فكر

المعهد المصري
للدراسات السياسية والاستراتيجية

قلم ومیدان

فكر ثورة .. ثورة فكر

مجلة شهرية فكرية تُعنى بقضايا الثورة المصرية

فكر ثورة.. ثورة فكر

رئيس التحرير : فجر عاطف

للتواصل:

صفحة المجلة على موقع التواصل الاجتماعي " فيس بوك "

www.facebook.com/Qalam.wa.maidan

البريد الإلكتروني:

Qalam.wa.maidan@gmail.com

kalm.midan@eipss-eg.org

صفحة المعهد المصري للدراسات السياسية والإستراتيجية:

www.facebook.com/Eipss.EG

العدد الثالث مارس 2016

الفهرس

الافتتاحية

أهبة الميدان.. 6

أخلاق الميدان

المبادرة في العمل الثوري 11
د. منير جمعة لـ"قلم وميدان": لا مناص من التحلي بالشجاعة..... 16

سيناريوهات

خبراء وسياسيون يتوقعون ٦ سيناريوهات لاستكمال الثورة..... 20
الأزمات الاقتصادية المتفاقمة.. هل تؤذن بزوال الانقلاب؟..... 25

إشكالية حرجة

ما الذي يحدث في سيناء؟..... 30

تجارب ثورية (ميدان يناير ثورة المصريين

الاصطفاف والمجموع الوطني: أربعة عوامل وحَّدت المصريين في التحرير 37
محطات في حياة "ثوري": من الشرارة الأولى وحتى يوم التنحي... 42
يوم التنحي.. فرحة النصر وجني الثمار..... 49
كيف امتلأت الميادين المصرية بالثوار؟..... 52

إعلام الثورة

* "الأمان الرقمي".. ٤ خطوات يمكنك تطبيقها الآن 59

المقاومة المبدعة

الدور المهني والنقابي في العمل الثوري..... 63
" القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية"..... 68
كيف تنجح المقاومة المبدعة في مصر؟..... 71

الفهرس

أدب الثورة

٨ أسباب تدعو الأدباء للكتابة عن حقوق الإنسان 77
سيناءٌ جرحٌ لا يطيب.. شعر 80
قفص العصافير.. قصة قصيرة 81

حكاية من قلب الحدث

قصص من دفتر جريمة "الإخفاء القسري" 84
على أبواب المعتقلات.. "قلم وميدان" ترصد همومًا وأوجاعًا يرويها أهالي المعتقلين في الزيارة 92

رسائل الثوار

أبناء ولكن ثوار..... 98
أصحاب الكلمة الحرة يصدعون بها حتى من خلف القضبان..... 101
طبيب معركة "الأمعاء الخاوية".. د. إبراهيم اليماني..... 102

قلم وميدان

فكر ثورة ■■ ثورة فكر

(الآراء الواردة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة)

قلم وميدان

فكر ثورة ■■ ثورة فكر

الافتتاحية

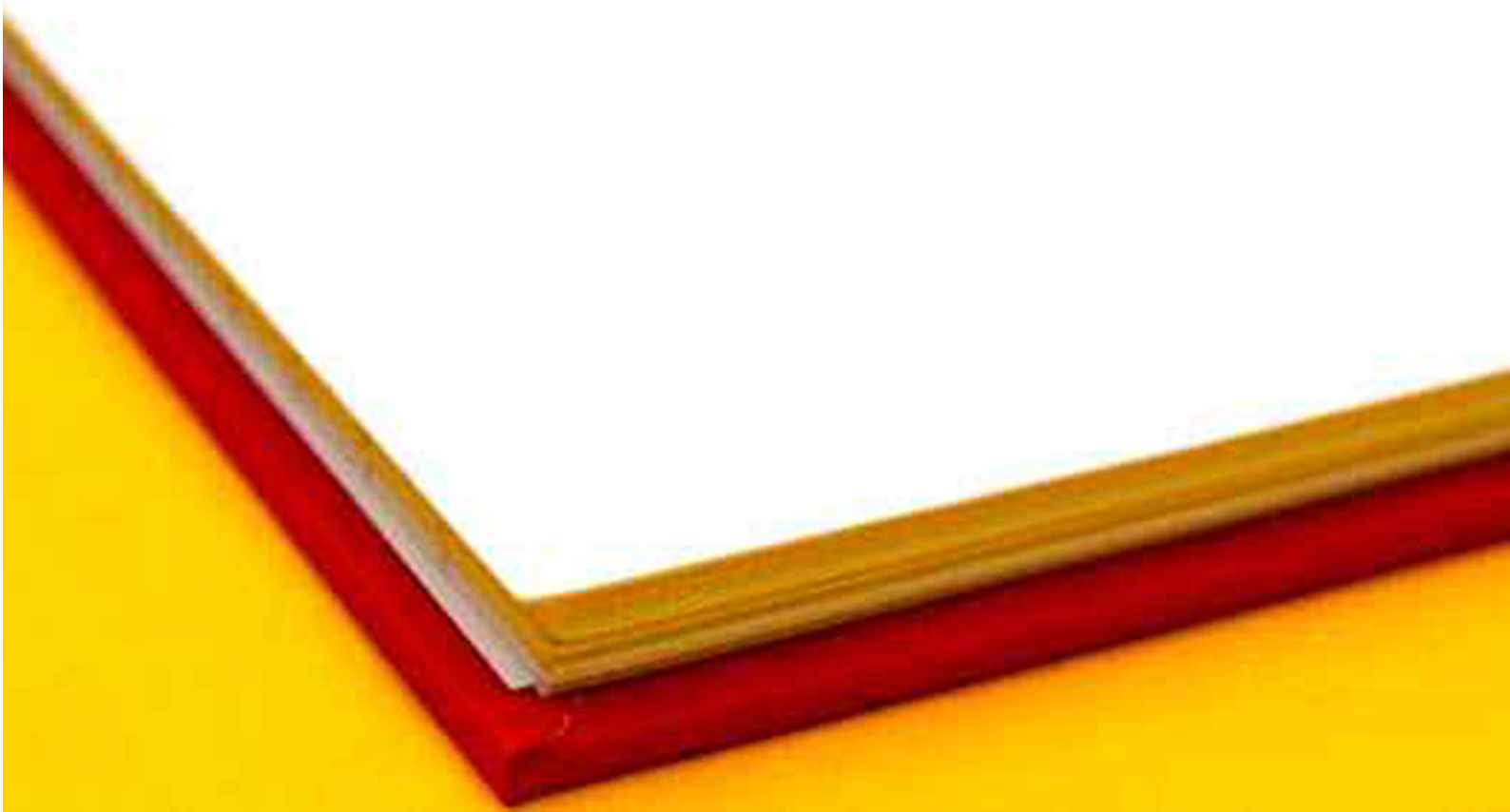

أُهبـــــة الميدان

فجر عاطف صحصاح

تحدث «عباس العقاد» في «عبقرية خالد» رافضًا أن يكون جُلُّ ما حَمل المسلمين على الانتصارات والفتوحات بعد الإسلام هو العامل العقدي وحسب؛ فرغم أهميته جمع المسلمون معه أسباب النصر أو على الأقل اجتهدوا في تحصيلها، ومن بين أهم تلك الأسباب ما أسماه العقاد «أُهبة الميدان»، وتعني تلك الحال من الاستعداد الدائم للقتال، والتي كانت سائدة بين القبائل العربية تربصًا لأي اعتداء أو تحسبًا لمناورات أو مناوشات قريبة، يقول العقاد- بعد وصفه للبيئة البدوية-: «.. فحصل من ذلك- يقصد البدوي- على ملكَة مطبوعة يصح أن تسمى «حاسة الحرب» أو أهبة الميدان الخالد التي لا تفارقه في ليل ولا نهار، فلا تزال حياته في حيطة المدافع واستعداد المهاجم ويقظة القلب للنضال الذي يتعرض له بين مضطر مغتصب أو طائع مختار...».

ويزيدنا «العقاد» شرحًا بعد استدلاله بإحدى الحروب التي خاضها العرب قبل الإسلام، فيقول: «وليس في وسْع عالم من علماء الحرب في زماننا هذا أن يأخذ عليهم خللاً في خطتهم لم يلتفتوا إليه أو يحصي عليهم وجهًا من وجوه التدبير قصروا فيه؛ لأن وجوه التدبير كلها فضول، بعد أن تستقيم للمقاتل: [أهبة الاستطلاع و(٢) رسم الخطة و(٣) تنظيم الجيش

في مواقفه و(٤) تنظيم الجيش في تحركاته و(٥) إذكاء العزيمة في نفوسه و(٦) إضعاف العزيمة في نفوس خصومه].. وهذه كلها هي صفوة لباب الحرب في العصر الحاضر وفي العصور الغابرة، وفي جميع العصور إلى آخر الزمان..».

وحديث العقاد هذا يدفعنا إلى العروج على تلك المساحة التي تمارس من خلالها أعمال المقاومة أيًّا ما كانت، وهي المساحة التجهيزية قبل المعركة وأثناءها وبعدها.

وتوجد تلك المساحة التجهيزية في المؤسسات التي تدير المشهد، كما توجد في الأفراد.

ومساحة وجودها في إدارة العمل المقاوم إنما تتعلق بالرؤية والتخطيط وقراءة العدو والتحسب له من كل جانب، كما تتعلق بأهمية الجمع بين التخطيط لعمل في السياق قصير الأمد، والعمل الممتد طويل الأجل.

وفي الأطروحة العسكرية الصينية «فن الحرب» والتي كتبها سون تزو Sun Tzu في القرن السادس قبل الميلاد، والتي اعتُبرت لفترة طويلة مرجعًا كاملاً للإستراتيجيات والوسائل العسكرية.

يقول في الفصل المعنيّ بالتقديرات الأولية إن «القائد الذي يفوز في المعركة يقوم بعمل الكثير من الحسابات في مركز القيادة قبل بدء القتال، القائد الذي يخسر المعركة يقوم بعمل القليل من الحسابات سلفًا؛ لذا فالكثير من الحسابات تؤدي إلى النصر، والقليل منها يؤدي إلى الهزيمة، بناءً على درجة اهتمامك لهذه النقطة أستطيع أن أتنبأ من سيفوز ومن سينهزم..».

ولأن معارك كثيرة من المتوقع لها امتداد الأجل فقد لزم على واضعي خطط التحرك التفكير من مداخل متعددة ومختلفة، وفي ذلك يقول «تزو»: «معين التكتيكات غير المباشرة- في حال تم تطبيقها بكفاءة- لا ينضب أبدًا، تمامًا مثل السماء والأرض، لا نهاية لها، مثل جريان الأنهار وفيضان العيون، مثل الشمس والقمر اللذين يغيبان فقط ليشرقا من جديد، مثل الفصول الأربعة، التي تمر فقط لتعود من جديد..».

الاستعداد للفعل الثوري والجاهزية للانطلاق في اتجاه هذا المقصد..

يضيف: «في المعركة ليس هناك أكثر من طريقتين للهجوم: مباشرة وغير مباشرة، ورغم ذلك فإن مزج هاتين الطريقتين ينتج عنه سلسلة لا نهائية من المناورات الممكنة، تؤدي كل من الطريقة المباشرة وغير المباشرة بدورها إلى الأخرى تمامًا، مثل التحرك في دائرة؛ حيث لا تصل أبدًا إلى نهاية، وبالتالي فمن ذا الذي يمكنه الوصول لحد نهاية الاحتمالات الممكنة لمزج هاتين الطريقتين معًا؟».

وفي تلك الملاحظة الأخيرة إشارة واضحة إلى أهمية إعادة الاعتبار إلى عوالم التفكير الإبداعية، والتي لا تقتصر فقط على مستوى الأفراد، بل إن التخطيط المؤسسي غير التقليدي والذي يربط بين أشياء لم يكن من المتوقع الربط بينها؛ لهو ركيزة مهمة في مباغتة الطرف الآخر، وأخذه على حين غرة.

حياة ثورية

وإذا كان كل ما سبق يتعلق بالتخطيط المؤسسي على مستوى القيادة، فإن هناك «أهبة ميدان» أخرى هي في ظني من أهم عوامل كسر الانقلاب، خاصةً بعد أن دخلت الثورة المصرية عامها السادس على التوالي، وما تعرضت له في تلك السنوات من أحداث كان لها أكبر الأثر في إحداث حالة تغيرية في الكثير من القوى الفاعلة على المشهد، والتي في القلب منها يأتي الثوار على اختلاف ثغورهم وتخصصاتهم.

حالة تفكير مستمرة تواقة لأن تصنع تغييرًا حقيقيًا وهي شباك ضيقة المسام لصيد الفرص واقتناصها

وتعني «أهبة الميدان» على المستوى الفردي ما تنطوي عليه سريرته ويحتويه قلبه وعقله من أطر مقصدية باعثة له على الحركة؛ فهي حالة الاستعداد للفعل الثوري، والجاهزية للانطلاق في اتجاه هذا المقصد.

وعلى هذا تكون المساحة النفسية أكبر مما يمكن أن يحتويه الفعل، فالأخير ربما لا يتعدى دقائق أو ساعات أو حتى أيام بحسب النشاط الثوري الذي يقوم به الفرد، أما الجاهزية فهي ترقب دائم وانتظار لهذا الفعل، وهو في حقيقته ترقب إيجابي يعمل معه الفرد على تدريب نفسه وتأهيلها على الأنشطة المزمع له القيام بها، كذلك هي حالة تفكير مستمرة تواقة؛ لأن تصنع تغييرًا حقيقيًا، فتنطلق بحسب ما لها من إمكانية في المبادأة بالمقترحات أو القيام بنشاط ذاتي صوب الهدف.. أيضًا هي شباك ضيقة المسام لصيد الفرص واقتناصها، والتي لم يكن من اليسير التنبه لها إن لم يعش الفرد حياته الثورية متقدًا يقظًا..

وفي وضع ثوري زاد عن الخمس سنوات، يجد الفرد نفسه مضطرًا في إطار تلك «الأهبة» لأن تندمج جُل عوالم علاقاته الاجتماعية والمهنية فتكون شديدة الالتصاق بما يعتمل في نفسه من أمر، فيتخفف من أعباء قد تثنيه عما هو مقبل عليه، ويشد نفسه في وشائج لم يتوقعها يومًا ما.. لكنها الثورة، وما لها في نفس الفرد من حقوق في أبنية العلاقات والتفاعلات الاجتماعية.

إن الرباط على الثغر الثوري من أهم ضمانات استمرار الثورة، فخفوت الجذوة في نفوس الأفراد، وتحلل اهتماماتهم الحياتية من هذا المنطلق، وتهميش المقصد حتى يصير كظل باهت يؤدي لتسديد الخانات وكفى، أو نكوصه ليصير كمهمة وسط زحام الحياة، ودور من أعباء الفرد يأتي إليه بالإضافة فيُحمله تبعات عليه أن ينتهي منها.. إنما يعد هذا وأدًا للثورة دون وعي.

الثورة هي: تلك المجموعة من الأفعال التي تتفكك وتحلّل، فتصير قيمًا حياتية متصلة، مجموعها يؤدي إلى لحظة الانتصار الظاهرة

إن الفرصة أمام الفرد الثوري الآن في مصر كبيرة؛ ليس فقط كي يكسر الانقلاب بل كي ينتج منظومة جديدة من المعارف والعلوم الثورية إذا صح التعبير، فالثورات التي عرفتها البشرية في العصر الحديث هي اللحظات التغيرية في ذاتها هي ردات فعل الشعوب كي

تقتلع فسادًا أو حكمًا غاشمًا، أما الثورة المصرية الآن فأمامها تحدٍّ لتقديم تجربة؛ مفادها أن الثورة هي المبدأ في حد ذاته؛ هي تلك المجموعة من الأفعال التي تتفكك وتحلل فتصير قيمًا حياتية متصلة، مجموعها يؤدي إلى لحظة الانتصار الظاهرة، ولكن بدون تلك اللحظة الأخيرة، فكل الممارسات والمعايشات التي يحياها الأفراد تمثل الثورة في ذاتها، تمثل نبل المقصد وقيمته، كما تمثل انقطاعًا وانحسارًا عن كل ما هو خارجها، وهو انكفاء لا يقطع الإنسان عن كينونته البشرية؛ وإنما يحبسه على فعل الغالي والنفيس من الأمور، ويوقد فكره وفؤاده اشتعالاً بمراتب العوالم القيمية العليا، وهذا التغيير الحقيقي في روح الأمة كفيل أن ينتج مستقبلاً مختلفًا حافلاً بمنظومة مبادئ جميعها متصل بالفعل والعمل والإبداع والحركة.

قلم وميدان

فكر ثورة ■■ ثورة فكر

أخلاق الميدان

المبادرة في العمل الثوري

محمد فتحي النادي
باحث في الفكر الإسلامي

تمر الحالة الثورية في مصر بمنعطف خطير؛ حيث تعمل آلة القمع الباطشة دون توانٍ في تجفيف منابع الثورة.

تساندها آلة إعلامية جبارة سخرت كل إمكاناتها في تغييب وعي الشعب، والعمل على شيطنة الثورة، وأنها فوضى تهدم الدولة، وأنها تابعة لأعداء خارجيين متربصين بهذا البلد.

هذا الجو المشحون أهدر كرامة ودم من يقف في وجه الاستبداد طالبًا الكرامة والحرية.

وجعل أبناء الشعب وأطيافه بأسهم بينهم شديدًا؛ فالجار يبلغ عن جاره الذي لم يفعل فيه سوءًا، والصديق يفارق صديقه، والأقارب تتباعد.

نماذج من إيجابية الصحابة ومبادراتهم الذاتية

هذا الجو العام والسياق الذي تحياه مصر يضاعف من الأعباء الملقاة على كواهل طالبي التغيير.

فهذا التدافع بين من يقبل بالثورة ويؤمن بها وبين من يرفضها سنة كونية ماضية لازمة لم تتخلف قط على مر العصور والأزمان.

الكل يحاول إثبات وجهة نظره، والعمل على تثبيت أركانها، ولأجل ذلك قد يسعى البعض لإثبات وجهة نظره بأية طريقة مشروعة أو غير مشروعة.

وهؤلاء هم من لا مبادئ لهم ولا قيمًا حاكمة.

وهناك من يسلك الطرق المشروعة؛ لأنه صاحب هدف نبيل وغاية شريفة سامية.

الانبياء ثوار

والناظر لتاريخ الأنبياء يرى أنهم كانوا ثورًا على عادات بالية وأخلاق فاسدة وتشريعات ما أنزل الله بها من سلطان.

أراد الأنبياء -بوحي من الله- أن يصلحوا مجتمعاتهم من الآفات التي عصفت بها، وأن يعيدوا الكرامة الإنسانية لأقوامهم بعد أن داسها الكبراء والسادة الذين أكلوا حقوقهم.

هؤلاء السادة بحثوا عن ملذاتهم وشهواتهم، وملؤوا جيوبهم وخزائنهم بالأموال من حلٍّ وحرمة، وبخلوا بها على عباد الله.

هؤلاء السادة بحثوا عن الديانات التي تمكّن لهم، وتحافظ على مكاسبهم وامتيازاتهم.
أحاطوا الكهنة والسدنة بالرعاية والعطاء، هؤلاء السدنة الذين كانوا في معيتهم ويعملون على تأكيد سيادتهم وعدم الخروج عليهم، أو المطالبة ببعض الحقوق لعبيدهم أو المستضعفين من أقوامهم.

لذلك تحالف السدنة والسادة ضد من دعا إلى تغيير هذا الوضع والثورة عليه.
فقام الأنبياء بدور الثوار وتدرجوا مع أقوامهم فدعوهم للتغيير والثورة على ما ورثوه ودرجوا عليه، فآمن بالتغيير بعضهم، ورفضه الباقون.
ثم كانت الصراعات بينهما...
يغلب الفريق الذي ارتبط بمصالحه وسطوته حينًا، وعمل طوال الوقت بإعلامه وأمواله ضد التمدد الذي يحدثه الفريق الجديد الثائر على الموروثات البالية والأخلاق الفاسدة والسلطة الغاشمة.
لكن الصبر والإعداد والعناية الإلهية المصاحبة للمؤمنين بالتغيير كانت من أكبر عناصر النصر.

المبادرة

وكانت المبادرة خصيصة لأزمة للأنبياء وأتباعهم.
فقد كان يمكن أن يقول الأنبياء عند نزول الوحي عليهم:
- كيف لي أن أجابه هؤلاء الأقوام؟
- كيف لي -وأنا وحدي- أن أغير هذا العالم؟
- هل سيستمع قومي إلي؟
- هل يمكن أن يقتلوني؟
هذه الأسئلة وغيرها قد تقعد بصاحبها عن العمل، ولكننا وجدنا غير ذلك.
وجدنا أن الإيمان صنع المعجزات.
الإيمان بالله...
الإيمان بالقدرة على إحداث التغيير المطلوب...
الإيمان بالأتباع الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل معتقدهم...

الأتباع على طريق الأنبياء

رأى الأتباع ما قام به أنبياؤهم من فاعلية وذاتية وإيجابية في الحركة لنشر دين الله في الأرض، وما يستلزمه من إعادة الكرامة الإنسانية، والتحرر من كل شيء إلا العبودية لله، فساروا على طريقهم من الأخذ بزمام المبادرة...

مبادرة الطفيل بن عمرو الدوسي

هذا السيد المطاع في قومه ذهب إلى الحج بمكة، فقابله أهلها وألقوا عليه كذبهم وافتراءهم على النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- ودينه وأتباعه، وما زالوا به حتى وضع في أذنه قطنًا كي لا يسمع حديث النبي له الذي كان يستقبل الوفود بموسم الحج...
ولكن يأبى الله إلا أن يذهب هو بقدمه إلى النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- ويسمع منه بعض كلامه، فيرى أنه خير كلام، ثم قال: «يا محمد! إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأخبرته بما قالوا، وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق،

فاعرض عليّ دينك، فعرض عليّ الإسلام فأسلمت.

ثم قلت: إني أرجع إلى دوس، وأنا فيهم مطاع، وأدعوهم إلى الإسلام لعل الله أن يهديهم، فادع الله أن يجعل لي آية»( ).

فعندما دخل الإيمان قلب «الطفيل» لم يبخل بالهداية على قومه، فأحب لهم الخير كما أحبه لنفسه، ولم ينتظر توجيهًا من النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- له بالذهاب إلى قومه ودعوتهم، بل فعل ذلك بمبادرة منه، وبدافع ذاتي، وقد أبوا عليه الطاعة والإيمان، فما زال بهم سنين طويلة حتى أتى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بعد الخندق بثمانين بيتًا من دوس...
وبعد فتح مكة طلب من النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أن يبعثه إلى ذي الكفين، وهو صنم عمرو بن حمة، حتى يحرقه.
فقال له -صلى الله عليه وآله وسلم: «أجل، فاخرج إليه»( ).
فالمبادرة عنده لم تكن وليدة موقف، ولكنها منهج حياة.

مبادرة الحباب بن المنذر

أذاقت قريش المسلمين العذاب ألوانًا، وها هم المسلمون قد انحازوا إلى بلد ينصرهم كي يقيموا دولتهم، فينحاز إليهم كل مسلم.

لكن قريش رأت في ذلك تهديدًا مباشرًا لهم ولتجارتهم، وعندما أراد المسلمون أن يستعيدوا بعضًا من حقوقهم بمهاجمة قافلة تجارية لقريش فر أبو سفيان ونجا بأموال قريش.

لكن قريشًا رأت في ذلك إعلانًا للحرب عليهم، فأرادت تأديب المسلمين، وأتت بخيلها ورجلها إلى المدينة، فكان اللقاء الأول، فجمع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أصحابه كي يستشيرهم في المنزل الذي نزلوه. فقال الحباب بن المنذر: «يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟
قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة.

قال: فإن هذا ليس بمنزل. انطلق بنا إلى أدنى ماء القوم؛ فإني عالم بها وبقُلُبها( )، بها قُليب قد عرفت عذوبة مائه وماء كثير لا ينزح، ثم نبني عليها حوضًا ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل، ونغوِّر ما سواها من القُلُب.
فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم: يا حباب أشرت بالرأي.

فنهض رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ففعل كل ذلك»( ).
كان يمكن للحباب أن يهوّن من رأيه؛ إذ كيف يتكلم في حضور الكبار، ولكنه لم يفعل، وأشار على الرسول برأي كان من أسباب النصر للمسلمين والهزيمة المنكرة لقريش.

مبادرة سلمان الفارسي

كانت الحروب سجالاً بين المؤمنين والمشركين،

مرة للمسلمين ومرة عليهم، حتى كانت غزوة الأحزاب التي رمى العرب المسلمين فيها عن قوس واحدة، وقد كان رسول الله يكثر مشاورة أصحابه في الحرب، فقال: «أنبرز لهم من المدينة، أم نكون فيها ونخندقها علينا، أم نكون قريبًا ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل؟
فاختلفوا، فقالت طائفة: نكون مما يلي بعاث إلى ثنية الوداع إلى الجرف.

فقال قائل: ندع المدينة خلوفًا( )!
فقال سلمان: يا رسول الله، إنا إذ كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك -يا رسول الله- أن نخندق؟
فأعجب رأي سلمان المسلمين، وذكروا حين دعاهم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- يوم أحد أن يقيموا ولا يخرجوا، فكره المسلمون الخروج وأحبوا الثبات في المدينة»( ).
هذا الرأي الألمعي من سلمان كسر قريشًا وهجومها الكاسح على المدينة، وأبطل ما كانوا يخططون له من استئصال شأفة المسلمين.

مبادرة أبي بصير

كان من بنود المعاهدة الموقعة بين النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وقريش في الحديبية أن يرد إليهم من قدم إليه من المسلمين.
في ظاهرها السوء، وانتصار لإرادة قريش على إرادة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم، لكنها أصبحت بعد ذلك وبالاً على قريش، حتى سعوا في إلغائها.

والسبب في ذلك مبادرة أبي بصير لتحرير نفسه مما حلّ به، وألا يحمّل رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- مشكلته، ورأى أنه يسعه ما لا يسع الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم، وكما قيل: يسع الأفراد ما لا يسع الجماعات، ويسع المعارضة ما لا يسعها وهي في سدة الحكم.

وكان أبو بصير من ثقيف فأتى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- مسلمًا مهاجرًا، فبعثوا من يطلبه من رسول الله، فدفعه إليهم.

كيف يسلّم الرسول مسلمًا للمشركين كي يفتنوه في دينه؟
إنها قاصمة الظهور، ولكن المعاهدات ملزمة، والمصلحة العامة تقتضي المحافظة على الهدنة.

فاحتال أبو بصير حتى تمكن من تحرير نفسه، فقال عنه رسول الله: «ويل أمه مِسْعر حرب، لو كان معه أحد»، «فخرج أبو بصير معه خمسة نفر كانوا قدموا معه مسلمين من مكة حيث قدموا فلم يكن طلبهم أحد ولم ترسل قريش كما أرسلوا في أبي بصير، حتى كانوا بين العيص، وذي المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش مما يلي سِيف البحر لا يمر بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها، وانفلت «أبو جندل بن سهيل بن عمرو» في سبعين راكبًا أسلموا وهاجروا فلحقوا بأبي بصير، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في هدنة المشركين، وكرهوا الثواء بين ظهري قومهم، فنزلوا مع أبي بصير

في منزل كريه إلى قريش، فقطعوا به ماداتهم من طريق الشام، وكان أبو بصير زعموا وهو في مكانه ذلك يصلي لأصحابه، فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يؤمهم، واجتمع إلى أبي جندل حين سمعوا بقدومه ناس من بني غفار، وأسلم، وجهينة، وطوائف من الناس، حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل، وهم مسلمون.

فأرسلت قريش إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أبا سفيان بن حرب يسألون ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير، وأبي جندل بن سهيل، ومن معه فقدموا عليه، وقالوا: من خرج منا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه، فإن هؤلاء والركب قد فتحوا علينا بابًا لا يصلح إقراره.

وكتب رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى أبي جندل وأبي بصير يأمرهم أن يقدموا عليه، ويأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم، ولا يعترضوا لأحد مر بهم من قريش وعيرانها»( ).

فانظر إلى أبي بصير كيف لم يستسلم للأسر، ولم يرض أن يحمّل الرسول مشكلته، فاختار حلاً لا يحرج النبي، وأخذ في النكاية بقريش حتى ضجوا واستغاثوا، فكان فعل أبي بصير في صالح المسلمين.

وكانت مبادرته للخلاص من الأسر سببًا في الرجوع عن بعض البنود مع الإبقاء على المعاهدة قائمة.

وبدلاً من أن تذل قريش أنوف المسلمين ببعض البنود كانت هذه البنود بسبب أبي بصير وإخوانه هي التي أرغمت أنوفهم.

تحتاج الثورة إلى العمل المبدع والذاتي، وألا يستقل أحد رأيه وعمله.

وأخيراً ...

فإن على القادة أن تستمع لكلام الأتباع، وأن تشركهم في القضايا المصيرية، فرب رأي غاب عن القيادة كان يجول في رءوس بعض الأتباع يكون به النصر الكبير.

وعلى الأتباع أن يبحثوا عن المخارج إذا وجدوا أن القيادات مكبلة ببعض المعيقات.

وفي هذه الآونة تحتاج الثورة إلى العمل المبدع والذاتي؛ وألا يستقل أحد رأيه وعمله.

د.منير جمعة لـ«قلم وميدان»: لا مناص من التحلي بالشجاعة في نصرة الحق والصبر على الأذى المتوقع

حول معاني الخوف والقلق التي قد تعتري الفرد المسلم من آن لآخر خاصة في مواجهة قضية كبرى كالانقلاب العسكري في مصر، يقول الدكتور منير جمعة، عضو حركة «علماء ضد الانقلاب» وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين: إن «الخوف غريزة بشرية وصفة فطرية لا مشكلة فيها شرعًا إذا لم تقعد الإنسان عن التكليفات وتمنعه عن الواجبات، والمؤمن الحق يعلم أنه صاحب رسالة يعيش لها ويدافع عنها ويجاهد في سبيلها، ومجاهدة الظالمين المعتدين والبغاة الخارجين الذين انقلبوا على إرادة الأمة وسجنوا رئيسها الشرعي وعشرات الآلاف معه وقتلوا كثيرًا من أعوانه ومؤيديه واجب شرعي، فالرئيس هو ولي الأمر الشرعي، وله في أعناق المصريين بيعة، ولا يجوز النكوص عنها، كما في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (١) (سورة المائدة)،والقاتل المعتدي لا يجوز التسليم له والسكوت عن جرائمه بل الواجب الاجتماع على تأديبه وزجره وإعادة الحق إلى نصابه، وإلا أثمت الأمة جميعًا بتخليها عن القصاص من جهة، وعن إرادتها التي تمثلت في الرئاسة والمجالس المنتخبة من جهة أخرى».

ومن جانبه يضيف «جمعة» أن «خروج الشباب في المسيرات المناهضة للانقلاب مندوب شرعًا، وهو لون من إنكار المنكر باللسان،ولا يصح للإنسان أن يستسلم لوساوس الخوف أو لتخذيلالمخذلين؛ لأنه خرج لحقٍّ واضح بيّن، من أنكره فهو كذاب أثيم، وقد يقول قائل: إن هناك احتمالا للأذى أو الاعتقال!، فنقول: نعم.. ولكنه في سبيل الله، وكل ما يصيب المؤمن من أذى المجرمين سيكون في ميزان حسناته، حتى الشوكة يشاكها له بها أجر طالما خرج لله وللحق» .

في الحديث الصحيح «أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ».

وفي السياق نفسه يشدد جمعة قائلاً: «وعلى المسلم الحذر التام مع المشاركة في الفعاليات وليس الحذر مع القعود، فقد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ

أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا) [النساء: ٧١].فأمر بالحذر مع النفرة لنصرة الحق، والحذر نوع من دفع القدر بالقدر، ولو أن كل مسلم خاف من تبعات نصرة الحق فمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ ومن يدفع العدو المعتدي؟ ومنيصون الأعراض؟، وقد جاء في الحديث الصحيح: «أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ»، ولو قعد الناس في البيوت فمن يطالب بالحق؟

كله خير

يتابع جمعة: «وحتى يزيل الإنسان الخوف عن نفسه فليعلم أن أمر المؤمن كله له خير،كما في الحديث « عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ، وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ، إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ»، والذين يخرجون اليوم في الشوارع هم أشرف خلق الله أجمعين؛ لأنهم خرجوا في وجه مغتصب ظالم، ومن مات منهم أو قُتل فهو من الشهداء بإذن الله، بل من سادات العلماء، كما جاء في الحديث الصحيح: «سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله».

وفي الحديث أيضًا: «أفضل الجهاد كلمة عدل (وفي رواية: حق) عند سلطان جائر»، وقد قام بعض الصحابة بإنكار المنكر وخرجوا على من لا شرعية له في نظرهم، كما فعل الحسين-رضي الله عنه- مع يزيد، وعبدالله بن الزبير مع عبد الملك بن مروان، وقد كان من قدر الله ما كان، فهذا يعني شرعية مواجهة المجرمين والظالمين، ولا يشترط تكفير الحكام لنخرج عليهم، فإن الحسين لم يكفر يزيد، وعبدالله بن الزبير لم يكفر عبد الملك، والفقهاء الذين خرجوا ضد الحجاج فيما سمي بثورة الفقهاء بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث لم يكونوا جميعًا ممن كفّر الحجاج، وقد كان العلماء الربانيون ينكرون على الحكام في زمانهم دون خوف، كما فعل «سعيد بن المسيب» مع عبد الملك بن مروان وسلطان العلماء «العز بن عبد السلام» مع المماليك؛ حيث طلب ببيعهم ووضع أثمانهم في بيت مال المسلمين، وما أصدق قول الشاعر:

أخي يا قوة عظمى ...تهز الكون صرختك
عجيب أن ترى وجلا ...وثوب الخوف يلبسك
أأنت الموت تخشاه ...وأنت الموت جنتك؟

مجاهدة الظالمين المعتدين والبغاة الخارجين الذين انقلبوا على إرادة الأمة وسجنوا رئيسها الشرعي واجب شرعي

وفي السياق نفسه يقول جمعة: «أما الآباء والذين قد يخشون من مشاركة أبنائهم، فليشاركوا أبناءهم ثورتهم ولا يمنعوهم منها؛ فهي ثورة الشرف والكرامة، وليعلم كل مسلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن الآجال محدودة، ولا يقربها شجاعة شجاع، ولا يباعدها جبن جبان، وإذا لم يكن من الموت بد فمن العار أن تكون جبانا».

ويختتم بوصية لقمان عليه السلام لولده كما في القرآن الكريم: «يَابُنَيَّ أَقِمْ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. (١٧)» [لقمان]، فقد أوصاه بالنهي عن المنكر؛ والانقلاب الحالي من أكبر المنكرات المعاصرة، وأمره بالصبر على الأذى؛ لأن النهي عن المنكر يعرض صاحبه غالبًا للإيذاء، فلابد من الشجاعة في نصرة الحق والصبر على الأذى فالجنة حُفت بالمكاره».

قلم وميدان

فكر ثورة .. ثورة فكر

سيناريوهات

خبراء وسياسيون يتوقعون ٦ سيناريوهات لاستكمال الثورة

تحقيق: أحمد أبوزيد

سيناريوهات متعددة استشرفها الخبراء لثورة ٢٥ يناير بعد ٥ سنوات من إخفاقها في تحقيق أهدافها الأساسية.. عيش، حرية، عدالة اجتماعية، كرامة إنسانية؛ لعدة أسباب، على رأسهاالمقاومة الشرسة من الدولة العميقة، وتفتت الصف الثوري، وغياب الرؤية الجمعية حول آليات إنجاح الثورة.

وبعد٥سنوات كانت سيناريوهات الثورة المصرية منحصرة في عدة رؤى رئيسة؛ هي: هيمنة الثورة المضادة على المشهد لفترة طويلة،أو حدوث تغيير شكلي في المشهد وتراجع الدولة العميقة خطوات للخلف لتحكم من وراء ستار عبر أدوات ليبرالية،أو حدوث حالة من الفوضى المنهجية برعاية الجيش تفضي إلى إعادة فرض الأحكام العسكرية ويحول مصر لدولة فاشلة.

لكن هذه السيناريوهات تتوافق مع إجماع بين المراقبين على أن العودة إلى أجواء ماقبل يناير ٢٠١١ بات مستحيلا في ظل تغيير ثقافي واجتماعي يعزز حالة الرفض بين الأجيال الجديدة التي باتت متمردة على الوصاية السياسية والاجتماعية للعسكر على المجال العام.

٦ سيناريوهات

في البداية توقع الباحث والخبير الإعلامي د. أحمد جعفر ٦سيناريوهات متباينة للثورة في عامها السادس:

سيناريو ١

المزيد من الهيمنة العسكرية لمختلف جوانب الحياة وفرص نجاحه مرتفعة لوجود ظهير إقليمي داعم بقوة، يتمثل في دولة الكيان الصهيوني، وظهير دولي وعربي يفوق قدرات الظهير الشعبي للشرعية المسلوبة، فضلاً عن الانقسام المحتدمبين مختلف شرائحه خلال السنوات العشر الأخيرة من حكم مبارك والسنوات الخمس من عمر الثورة، وفرص نجاح هذا السيناريو لاتزال قائمة، وسيرى المجتمع بعض آثارها في الخامس والعشرين من أبريل المقبل؛ ما قد يدفعه إلى المزيد من الرضا بهذا الواقع.

سيناريو ٢

استبدال هيمنة ليبرالية بالهيمنة العسكرية، تدور في فلك المؤسسة العسكرية، وتسمح لها بالحفاظ على مكتسباتها التي صنعتها خلال العقود السبعة الماضية، وتتقاسم معها الأدوار خلف الستار وأمامه، وبالتعاون مع- ورعاية- عناصر ليبرالية متنفذة من رجالات مبارك ممن ليس عليهم ملاحظات قانونية؛ بهدف تصدير صورة مدنية عن مصر من أجل تدوير السياحة وجذب الاستثمارات المقررة منذ سنوات بين المؤسسة العسكرية والدول الداعمة لها، وفرص نجاح هذا السيناريو مرهونة بنجاح القوى الليبرالية أو إخفاقها.

سيناريو ٣

تنوع وتزايد منسوب الغضب في العديد من شرائح المجتمع على وقع أزماته المتعددة والمتنوعة، وعدم التفات الحكومة لها بطرح حلول تسترضيها؛ ما ينذر بانفجار شعبي ضد قوى الهيمنة على المشهدين السياسي والأمني، وقد يتعرض المجتمع لفوضى وانهيار ومزيد من الفشل والاحتراب والانقسام الداخلي لغياب من يلتقط المشهد ويتحمل مسؤولية إدارته،أو لجوء المؤسسة العسكرية عبر أبواقها الإعلامية ومناشدات الأهالي عودة المؤسسة العسكرية لضبط الأمور والضرب بيد من حديد والقتل في سويداء القلب لمزيد من القبضة الأمنية وإيداع الآلاف في السجون التي يجري تشييدها، وحينها تموت الثورة ولايمكن بث الحياة فيها من جديد.

سيناريو ٤

انتشار جمرة اللهب الشيعي في دول المنطقة وتزايد وتيرة الحروب ضد ما يعتبرونه إرهابًا في كلٍ من سوريا واليمن وليبيا، وبالتالي لا أحد من الشعب سيستطيع أن يطالب بزحزحة المؤسسة العسكرية؛ لأن الشعب حينها يعيش

فوبيا الدولة المنهارة في سوريا والفاشلة في اليمن والمحتربة في ليبيا؛ ما يجعل الحديث عن ثورة ٢٥ يناير كأنه عبث أمام استحقاقات المحافظة على الدولة أو الوطن حتى ولو لم يجدوا قوت يومهم، وفرص نجاح هذا السيناريو مرهونة بنجاح أو إخفاق ما يسمى بالتحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب والتشيع الذي تقوده السعودية.

سيناريو ٥

نجاح الدول الرافضة للانقلاب على إرادة المصريين في إقناع الدول التي كانت- أو لاتزال- داعمة للهيمنة العسكرية على المشهد السياسي المصري بتغيير قناعاتها ومعرفة العدو الحقيقي لها ولمصالحها، يدفعها لتغيير مواقفها؛ بحيث تحافظ على المجتمع المصري من شبح الانقسام والاحتراب من خلال السماح بعودة الإخوان لمربع العمل الذي كان متاحًا لهم في السنوات العشر الأخيرة من حكم مبارك وعدم غلبتهم للمشهد، كما حدث بعد ثورة يناير، وفرص نجاح هذا السيناريو متوسطة لوجود خلافات بين أبناء تحالف الشرعية، وفي القلب منهم (الإخوان).

سيناريو ٦

تفهم تحالف الشرعية جوهر الخلاف بين القوى التي اصطفَّت معه يومًا أو كانت على مسافة متساوية بينه وبين المؤسسة العسكرية، وكانت على استعداد لقبول وثيقة السلمي لتمرير أي صدام بينها وبين المؤسسة العسكرية، وهو ما لم تدرك حقيقة تبعات رفضه معظم القوى، وبالتالي عليها أن تعرف أن للقوة معطيات وإحداثيات تتطلب الإعلان الجريء بأن مرسي يرغب في التنحي أو إقناعه بذلك؛ بحيث يخرج للشعب ويعلن تنحِّيه بعد ٤٨ ساعة بعد عرض مالديه من نجاحات وإخفاقات، وأن يعلن عن لجنة خماسية تتضمن شخصيات مدنية وعسكرية لإدارة المشهد والحكومة الانتقالية، وفرص نجاح هذا السيناريو ضعيفة لوجود خلافات، كما أوضحت في السيناريو الخامس، فضلا عن وجود شرائح عريضة من الشباب والأسر التي ضحت بالغالي من دمائها في سبيل حلم يرى من حقها أن تحلم بحاكم مدني جرى انتخابه ووجب على الجميع النزول عند حكمه ومنحه الفرصة كاملة لإدارة شؤون البلاد والعباد، وليصبح الصندوق هو الحكم الأول والأخير بين المتنافسين.

جعفر: الاحتواء والفوضى الممنهجة أو البديل الليبرالي سيناريوهات العسكر.. واستعادة الثورة في انتظار انتفاضة شعبية

لا عودة لأجواء ما قبل يناير

فيما يرى الكاتب الصحفي «سيد أمين»، مؤسس حركة «ناصريون وقوميون ضد المؤامرة»،أنه في العموم لا يمكن أن تعود مصر إلى أجواء ما قبل يناير ٢٠١١ والتي تعني الصمت والقبول بالواقع، فالمصريون رُفعت عن أعينهم الغمامة وصارواأكثر وعيًا بخدع الساسة والنخب الفسدة، كأن حاجز الخوف الذي يحاول السيسي ونظامه إعادة إقامته لم يُبنَ بعد، وأعتقد أنه لن يُبنى، فلقد تذوق المصريون طعم الحرية ودفعوا من أجلها ضريبة باهظة، ولن يتركوها إلا إذا حصلوا عليها كاملة، ولذلك فالثورة قادمة لا محالة، وأجواء التضليل والكذب الاعلامى قد تنجح في خداعالناس بعض الوقت، ولكنها لن تنجح في خداعهم طوال الوقت، والجميع الآن يستشعر انقشاع الغيوم التي كانت تحيط بالمشهد وبات الكذب الذي يمارسه السيسي واضحًا لعشرات الملايين من الناس.

أمين: لا نكوص عن مبادئ يناير والثورة الشاملة قد اقتربت

كما أن الأزمات صارت تخنق البسطاء بشكل واضح والعالم الإمبرياليأدرك أن سياسة تنصيب الحكام المستبدين بالقوة قد تكرر مشهد الشاه الإيراني وتنذر بثورة لا يمكن الوقوف ضدها، ولذلك أعتقد أن الغرب سيتدخل بنفوذه السياسي الكاسح في مصر لتغيير النظام أو تحسين ظروفه، وبالطبع هنا يجب علينا إدراك هذا المخطط وعدم القبول بغير الحرية والاستقلال ورفض التبعية.

الثورة تحت الرماد والانفجار قريب

من جانبه قال الصحفي والباحث السياسي حازم غراب إن هذه قضية تنوء به وبها العصبة أولو الفراسة والنجابة والتخصص الدراسي،فالتنبؤ السياسي ودراسات المستقبل ليست بدعًا من الأمور والمسائل في علوم السياسة، والتاريخ مختبر الساسة، وبناء على هذه المقدمات أظن أنه لابد من مجمع فكري يضم عدة متخصصين، أو ما يعرف بالـthink tanks للرد على هذا التساؤل، ومبدئيًا أيضًا فقد يكون من اللازم الشروع في تأسيس مركز متخصص متفرغ أو شبه متفرغ لهذا الشأن.

وأردف قائلاً: إنمستقبل ثورة يناير هو استمرار الثورة ولو سنوات، ولو بالألوف، وسوف تتزايد عاجلاً وآجلاً، مستقبل ثورة يناير يرعاه ويضخ فيه التضحيات ستون بالمائة من بين التسعين مليون مصري؛ أي شباب مصر، ولن تطول عملية إجهاض ثورتنا أكثر كثيرًا مما طال،فالجنين القادم يتشكل والأم المصرية صبورة ولود، فمستقبل ثورة يناير لن تعرقله

طويلاً مؤامرات عملاء الداخل وقوى الخارج الصهيوغربي.

وأوضح «غراب»أن مصير الثورة مرتبط أيضًا بصلابة عود الحركة الإسلامية وقوة احتمالها وحسن علاقة أعضائها برب الكون،فالأخذ بالأسباب مهم، والتوكل على مسبب الأسباب هو ما نصر محمدًا، صلى الله عليه وآله وسلم، وصحبه على الفرس والروم في غضون عقدين أو ثلاثة من بعد الرسالة الخاتمة.

غراب: الإسلاميون هم الكتلة الصلبة للثورة وتوحدهم يعزز فرص نجاحها

الأزمات الاقتصادية المتفاقمة.. هل تؤذن بزوال الانقلاب؟

يمثل الوضع الاقتصادي في مصر بعد الانقلاب مشهدًا من أسوأ المشاهد على الإطلاق، والجميع- بما فيهم المؤيد للانقلاب- بات يرى عن كثب المعاناة المصرية في الجوانب الاقتصادية؛ خاصة أنها معاناة قد شملت الملفات العامة للدولة، وكذلك الملفات الأكثر قربًا من المواطن البسيط.

وفي هذا تشير دراسة «عبد الحافظ الصاوي» حول «العسكر وتدمير اقتصاد مصر» إلى تراجع كل مجالاتوقطاعات الأنشطة الاقتصادية، فمثلاً في قطاع السياحة يؤكد «أن البيانات الرسمية أظهرت أن فترة تولي الرئيس محمد مرسي في العام المالي ٢٠١٢/٢٠١٣ هي الأفضل لقطاع السياحة خلال سنوات؛ حيث بلغت الإيرادات ٩,٨ مليارات دولار، ثم تدهورت بمعدّل النصف إلى ٥,١ مليارات دولار في السنة المالية ٢٠١٣-٢٠١٤، إبَّان حكم الرئيس المؤقت عدلي منصور، وهي أول سنة مالية بعد الانقلاب العسكري، و٧,٤ مليارات دولار خلال العام المالي الأول لقائد الانقلاب عبد الفتاح السيسي».

وفي إشارة أخرى يؤكد الصاوي: «تدهور قيمة الجنيه المصري على مدار ٧٠ عامًا، فالجنيه المصري بعد أن كان يقابل ٤ دولارات قبل ثورة ١٩٥٢ وبداية الحكم العسكري لمصر فقد أصبح الدولار يقارب ٨ جنيهات في سوق الصرف الرسمية ومنذ الانقلاب العسكري على أول تجربة ديمقراطية في مصر وخلال العامين ونصف العامأخذت قيمة الجنيه المصري في التدهور نتيجة تفاقم الأزمات تلو الأزمات، فقد شهد عام ٢٠١٥ تراجع قيمة صرف الجنيه بأكثر من ٣٠٪ خلال فترة الانقلاب، وهو ما

أثر سلبًا في القدرة الشرائية للمصريين، وأدى إلى تزايد الضغوط التضخمية بما يرفع أسعار المواد الغذائية وكل تكاليف المعيشة، وهروب المستثمرين، وقد انخفض الجنيه في سوق الصرف الرسمية بنسبة ١١٪ منذ مطلع عام ٢٠١٥، ووصل سعر الدولار في السوق السوداء في الفترة الأخيرة إلى نحو ٨,٦٠ جنيهات مقابل ٧,١٠ جنيهات في بداية العام المنصرم.

كما تشير الدراسة نفسها إلى التدني الشديد في الأجور، وارتفاع نسبة البطالة، مع زيادة في مشكلات الوقود والكهرباء.

ومن ثم فالسؤال الحالي إنما ينصبُّ على مستقبل استمرار الانقلاب في ظل هذا الوضع الاقتصادي الحرج، والمستمر في التدهور، وهل ما زالت لديه فرص الدعم الخارجي، ومن ثم التعويل على الظهير الشعبي ورضائه بالواقع أيًّا ما كان؟

توقعات بالإفلاس أو ثورة جياع

من جانبه يؤكد د. ناصر البنهاوي أن الوضع الاقتصادي للانقلاب سيئ ويتجه إلى الأسوأ بسبب أزمة الدولار، وانخفاض المساعدات الخارجية، وانهيار السياحة، وتقلص عائدات قناة السويس، وانخفاض تحويلات المصريين في الخارج، وأزمة الطاقة، وهروب المستثمرين

د. ناصر البنهاوي: أتوقع أن تتوقف مصر عن سداد ديونها ويتم إعلان الإفلاس

الأجانب، وانهيار البورصة، أضف إلى ذلك أن الانقلابيين لا أجندة ولا برنامج اقتصاديَّ لهم؛ حيث إنهم غير جادين في مشروعات المليون وحدة سكنية والمليون ونصف المليون فدان مثلاً، كما أن مشروع تفريعة قناة السويس فشل في تحقيق زيادة في عائدات قناة السويس، أيضًا فمشروع العاصمة الجديدة يعدُّ كارثة تفوق كوارث تفريعة قناة السويس ومشروع توشكى وفوسفات أبو طرطور؛ فالمنطقة التي سيتم بناء العاصمة الجديدة فيها تفتقر إلى عوامل الجذب السكاني مقارنة بالساحل الشمالي مثلاً، كما أن الجيش سيقوم بالإشراف على تنفيذه وربما تملكه؛ ما يجعله منافسًا للشركات المحلية.

ويتابع: ومن ناحية أخرى تركيز السيسي على ملف «الأمن» وتجاهله للأزمة الاقتصادية والمعاناة الاجتماعية للشعب..كل هذا سوف يؤدي إلى الانفجار، فالسيسي اشترى أسلحة بمليارات الدولارات وتعاقد على ٤ مفاعلات نووية بنحو ٢٠ مليار دولار، وبنى عشرات السجون ولم يبن مدرسة أو مستشفى واحدًا،

وإلافأين شبكة الطرق التي وعد بها السيسي؟! كل ذلك بالإضافة إلى زيادة الديون المحلية والخارجية مع انخفاض قيمة الجنيه،وهو ما سوف يزيد من فاتورة الغذاء وخدمة الديون الخارجية.

لذلك- والكلام لـ»البنهاوي»-أتوقع أن تتوقف مصر عن سداد ديونها ويتم إعلان الإفلاس أو يظل السيسى يضغط على المصريين حتى تقوم ثورة جياع.

القمع يكمم الأفواه

وفي السياق نفسه يرى الخبير الاقتصادي ممدوح الوليّ أنه عندما قام الانقلاب أوعزت الدول الكبرى إلى حلفائها بالخليج لمدِّ نظام الانقلاب بالدعم اللازم، سواء بالبترول الخام أو بالمنتجات البترولية،أو بالمال لاستيراد السلع الأخرى ولوازم مواجهة المظاهرات، وبعد تراجع أسعار البترول تحولت مساعدات الخليج لنظام الانقلاب إلى قروض وودائع، بعدها قامت الدول الكبرى بدعم الانقلاب من خلال البنك الدولي وصندوق التنمية الإفريقي وبعض البنوك الأوربية التي تملك سلطة اتخاذ القرار بها، فالبنك الإفريقي مثلاً لاتملك الدول الإفريقية سوى نصف حقوق التصويت به، وتملك دول الغرب النصف الباقي.

ومن هنا فإن دول الغرب حريصة على

ممدوح الوليّ: لا أتوقع ثورة جياع لأن القمع تحول من ضرب بالعصيّ إلى إطلاق الرصاص الحي

مساندة نظام الانقلاب كي لا يسقط، سواء عسكريًّا أو اقتصاديًّا، في ظل تحقيقه لمصالحها وحفاظه على أمن «إسرائيل»، ولهذا- والكلام للوليّ-لا أتوقع أن يكون المدخل الاقتصادي هو السبب الرئيس لسقوط الانقلاب، بل يكون عاملاً مساعدًا من خلال إثارة سخط المواطنين بسبب الغلاء، إلى جانب البطالة وتلاشي الحريات والتجاوزات الأمنية مع الأخذ في الحسبان أثر التخدير الإعلامي للجمهور بالادعاء بخفض الأسعار وطرح السلع بالمجمعات الاستهلاكية، والتهليل للوجبات الجاهزة،ومنع نشر أي خبر عن ارتفاع الأسعار منذ نهاية ديسمبر، أي منذ انتهاء الوعد الرئاسي بخفض الأسعار، والقبض على أي شخص يقوم بالتصوير التلفزيوني بالأسواق، رغم أن جهاز

الإحصاء نفسه فيإعلانه عن التضخم خلال شهر يناير- أي عن معدل ارتفاع الأسعار فيينايرـ قد أشار إلى ارتفاع الأسعار فى يناير عما كات عليه في ديسمبر، ومن ذلك زيادة أسعار اللحوم والدواجن التي ادعى النظام توفيرها وخفضها، لكن الإعلام لايذكر شيئًا من ذلك. ولهذا لا أتوقع ثورة جياع؛ لأن العصا الغليظة للنظام لم تعد مجرد ضرب بالعصيّ كما كانت أيام مبارك، بل صارت إطلاق الرصاص الحي، لهذا يؤثر كثيرون السلامة رغم معاناتهم الشديدة.

وحدة الصف الثوري

أما د. أشرف دوابة، الأكاديمي والمستشار الاقتصادي، فيقول: المشكلة أن السيسي يستخدم أسلوب الإدارة بالصدمات، ومما يؤسف له أنه يعتمد بعدها على دعم الجيش ومؤازرته له؛ فرغم أن حال الاقتصاد من سيئ إلى أسوأ، فإن السيسي لم يكن ليصمد لولا هذا الدعم والمساندة من الجيش.

يضيف دوابة: الحقيقة أن الرؤية ضبابية بشكل كبير، خاصة بعد الخلاف الذي نشب داخل جماعة الإخوان المسلمين، والتي هي رأس الحربة بين الثوار، فهذا بدوره أثر بشدة في العمل الثوري وعلى توقع أو بناء رؤية كلية لمواجهة الانقلاب، ولكن من ناحية أخرى ولأن الشعب المصري كما أن فيه من يبحث وينتفض من أجل الكرامة، ففيه أيضًا من يتكيف مع الذل، وأظن أنه في الفترة القادمة ومع زيادة الضغوط واستمرار غلاء الأسعار، فلا بد أن تتحرك شريحة من المجتمع؛ بناءً على هذه المعاناة، وهو أمر متشابه مع الكثير مما يحدث في دول العالم كله عندما تزيد وطأة الضغوط الاقتصادية، ومن ثم فمن جانبي لا أستبعد اندلاع ثورة الجياع تلك مع كثرة المعاناة، وإن كنت آمل في هذه الحال أن تحدث وحدة بين الصف الثوري المصري، حتى إذا ما اندلعت مثل تلك الثورة يتم إدارتها بشكل لا يضر بالمجتمع ولا يمثل تهديدًا لأفراده

د. أشرف دوابة: لا بد أن تتحرك شريحة من المجتمع بناءً على المعاناة والعبرة بوحدة الصف الثوري حينها

وعلى جانب آخر يرى «دوابة» أن العالم الغربي لن يضحي بالسيسي إلا إذا أصبح عبئًا عليهم، أما عن المعونات الخارجية ومثلها فقد صارت الآن بالنسبة للسيسي كأن لم تكن؛ لأنها الآن مرتبطة بإقامة مشروعات حقيقية، ومن ثم فهي معونات لها اشتراطات مادية، وليست معونات نقدية مباشرة، ولذا فقد صار السيسي الآن في أزمة واضحة، فلجأ إلى الاقتراض الخارجي بصورة لا تتماشى مع معايير قيام أي دولة، ومن ثم تجاوزت الديون الخارجية كل الحدود المألوفة أو المقبولة، ومن المتوقع أن يكون هذا عاملاً شديدًا في الضغط عليه في الفترة المقبلة.

قلم ومیدان

فکر ثورة ... ثورة فکر

إشكالية حرجة

ما الذي يحدث في سيناء...؟

أحمد الساعي

أكد سياسيون وخبراء سيناويون أن الوضع في سيناء يمثل خطرًا شديدًا على الدولة المصرية، وينذر بكارثة كبيرة، ربما يترتب عليها إخلاء محافظة شمال سيناء وتفريغها من أهلها بما يخدم سلطات الاحتلال الصهيوني، ويعني تسليم تلك المنطقة على طبق من ذهب للاحتلال، ويزيد من تصاعد هجمات الجماعات المسلحة نتيجة تعامل الجيش مع أهالي سيناء؛ ما يهدد السيادة المصرية على تلك البقعة من الوطن.

تهجير قسري

يؤكد البرلماني يحيى عقيل عضو مجلس الشورى الشرعي بشمال سيناء أن الانقلاب يرتكب حرب إبادة جماعية بحق أهالي سيناء، معتبرًا أن ما يحدث ليس مجرد حالة تهجير قسري وظلم يقع على مجموعة أفراد، بل حرب يمتد أثرها إلى الأجيال القادمة وتهدد الأرض

في صميم علاقتها المصرية الوطنية الخالصة عبر التاريخ.

يضيف: الأمر يتجاوز تهجير مجموعة من المواطنين أو إخراجهم من أرضهم، بل يتعداه إلى التهجير الكلي خارج نطاق المحافظة وتفريغها من السكان لمرحلة أسوأ ربما تصل إلى إعادة احتلال الكيان الصهيوني لها، كما أن جرائم الجيش الفعلية ضد المواطنين تتعدد ما بين إطلاق النار بصورة عشوائية وقصف المنازل بالطائرات، وهي جرائم لا تهدف إلا لإثارة الفزع بين أهالي سيناء؛ مايحملهم على الهجرة، وتضاف إلى ذلك ممارسات أشد قسوة، ومنها التضييق على الناس في أرزاقهم، ومنها سيطرة الجيش على ميناء العريش، وتسليم إدارة بحيرة البردويل لشركة تابعة للقوات المسلحة، والتي تفرض إتاوات وتبطش بصغار الصيادين، إضافة إلى تجريف الأراضي الزراعية وتبويرها ونقل أعمال النقل وتوريدات المحاجر للجيش؛ الأمر الذي يدفع المواطنين للهروب من ذلك الجحيم وترك سيناء.

ويشدد «عقيل» على أن الانقلاب لا يخدم سوى الصهاينة؛ حيث يتبع إجراءات هدم الأنفاق مع غزة، والتي كانت تدرُّ دخلاً على أبناء سيناء، كما أن مزاعم الانقلاب حول فرض السيطرة مجرد أوهام بعد انتشار الجماعات المسلحة والمتشددة جراء حملات المطاردات

يحيى عقيل: ما يحدث حرب تهجير قسري وإبادة جماعية لأهالي سيناء

العشوائية من المنازل والأسواق، فضلاً عن القتل والتشريد باستخدام الطائرات في قصف القرى والأحياء السكنية ومزارع المواطنين، كما أن وجود الجماعات المسلحة الذي هو عبارة عن ردة فعل على العنف يمثل ضغطًا شديدًا على قوات الانقلاب، لكنه في الوقت أوجدلها مسوغًا لقتل أكثر وعنف أشد ومادة للمتاجرة بها داخليًا وخارجيًا، وفي رأيي- والكلام لعقيل- أن وجود المسلحين على المدى البعيد إستراتيجيًا ليس في صالح الدولة والوطن والثوار.

بداية للاحتلال الصهيوني

وفي السياق ذاته يرى الصحفي المتخصص في الشأن السيناوي»أبوالفاتح الأخرسي» أن سيناء بعد الانقلاب تتأرجح بين خيارين أحلاهما مُرّ: الأول وهو إعادة الاحتلال الصهيوني الصريح لها، أما الثاني فهو الانفصال، أو ما يشبه اللادولة، في ظل انحسار سلطان الدولة المصرية عليها نتيجة للممارسات الوحشية المذهلة، التي جرى ارتكابها من جانب الجيش بشكل ممنهج ضد السكان المحليين، منذ ٧ سبتمبر ٢٠١٣ ضمن العملية نسر٢، التي كانت ترجمتها

القتل العشوائي والاعتقال والتشريد والتهجير القسري للسكان هناك، وهي الجرائم التي ترقى بلا شك إلى مصاف جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية .

ويضيف «الأخرسي» أن تلك الانتهاكات لم ترتكب حتى في ظل الاحتلال، وأدت بعد وقت قصير من بدء الحملة على أهالي سيناء إلى حال غير مسبوقة من العداء والرفض للدولة المصرية، وصلت حدَّ انضمام المئات من الشباب هناك للقتال في صفوف تنظيم ولاية سيناء، ربما ليس اقتناعًا بأفكار التنظيم، ولكن بسبب حالة الثأر التي أورثتها انتهاكات الجيش .

ويتابع: إن التعتيم الاعلامي كان خيارًا إستراتيجيًّا للدولة العسكرية في سيناء، فما ترتكبه هناك من جرائم بلا شك كان سيؤدي إلى ثورة عارمة لاتبقي ولا تذر؛ بسبب حجم الانتهاكات التي مورست ضد العزل والأبرياء من سيناء، وخاصة الأطفال والنساء، وليس أدلَّ على ذلك من حجم الصدمة والذهول الذي أصاب الملايين عندما شاهدوا صورًا لجثث الأطفال والنساء متفحمة، وكذلك الفيديو الشهير لتعذيب مواطنين سيناويين حتى الموت داخل أحد الأكمنة العسكرية على يد الجنود، وقد ساعد الخوف والقمع هناك من جهة، ومن جهة اتساع نطاق الانتهاكات على ضعف التوثيق والرصد لها.،كما أن الشباب الناقم والذي يواجه الموت بلا ذنب فضل الالتحاق بتنظيم ولاية سيناء مفضلين الموت وهم يواجهون الآلة العسكرية بدلاً من الموت على أيديها، ولذا لم يمر وقت طويل حتى استطاع التنظيم تحقيق معدلات أداء مرتفعة جدًّا، عكس حصول منتسبيه على تدريب متميز، ومع وصول العشرات من الشبان من باقي المحافظات وانضوائهم تحت لواء التنظيم، أصبح لدى التنظيم ما يمكن تسميته «جيش كامل» ، لديه قدرات عسكرية لا يمكن تجاهلها، ومع بدء العمليات المسلحة الدقيقة والقوية بنفس الوقت، أدت لتمكنه بشكل دوري للاستيلاء على مقارّوأكمنةوارتكازات للجيش في المنطقة الحدودية، وبذلك توفرت للتنظيم كميات كبيرة ومتنوعة من الأسلحة والذخائر، ومثلت بالنسبة له المصدر الرئيس للتسليح .

ومن ثم يمكن القول بلا مبالغة إن تنظيم ولاية سيناء رغم كونه مجرد تنظيم مسلح فإنه كشف الزيف والوهم الذي عكفت المخابرات والشؤون المعنوية على نسجه طوال عقود، وهو قوة الجيشوجاهزيته، فقد مرّغ التنظيم أنف العسكر

في التراب، واستطاع تحقيق مكاسب أخرى تخطت العسكرية إلى الإعلامية والنفسية والمعنوية،وبات التنظيم أنموذجًا حيًّا على قدرة أي مجموعة رافضة للظلم وللحكم العسكريعلى المواجهة طالما تمتلك عقيدة القتال، خاصة عندما ترتكز على أسس عقيدية.

يضيف «الأخرسي» أن التفوق الواضح لولاية سيناء أثار كل المخاوف الغربية على أمن الكيان الصهيوني، بعد أن فتح التنظيم جبهة مواجهة مباشرة في أم الرشراش المحتلة «إيلات» ومغتصبات العدو في صحراء النقب، ولذلك فبمجرد بدء الحملة نسر ٢ تنازلت الدولة الصهيونية واقعيًّا عن بنود معاهدة كامب ديفيد مع الجيش المصري، والتي تتعلق بتحجيم القدرات المصرية في المنطقة «ب»، وخلو المنطقة «ج»، وباتت الطائرات والمدرعات المصرية تتركز بصورة أساسية في المنطقة الحدودية وبعمق ٥٠ كم، بل وصل الأمر إلى عملية تنسيق ميداني وإدارة مشتركة للعمليات بين الجيش المصري ونظيره الصهيوني، وبات تحليق طائرات الـ F١٦ والطائرات المسيّرة الصهيونية في سماء سيناء أمرًا اعتياديًّا.

تعتيم إعلامي

وفيما يخص التعتيم الإعلامي المفروض من جانب الجيش المصري على شبه جزيرة سيناء وأهلها وكل ما يجري فيها، يؤكد «الأخرسي» أن الأمر ممتد منذ زمن، ومخطط له، وقد تزامن هذا مع عمليات عزل جغرافي جدية لسيناء جرت على مدار العقود الأخيرة منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتكللت هذه الجهود

الأخرسي: هناك مخاوف جادة من إمكانية انزلاق الأمر فجأة إلى دائرة التدويل

المتواصلة للجمهوريةالعسكرية بما وقع بعد انقلاب الثالث من يوليو ٢٠١٣ م، فلم يمض وقت طويل حتى وقعت سيناء تحت الأحكام العرفية وفرض حالة الطوارئ على المنطقة الحدودية حتى الآن.

وفي ظل هذه الظروف يصبح من قبيل الرفاهية أو ربما «الدعابة» الحديث عن رصد وتوثيق الانتهاكات المستمرة هناك، فالشؤون المعنوية والمخابرات ومن ورائهما النظام العسكري أصرُّوا على أن يكونوا المصدر الوحيد للمعلومةالتي تخرج من سيناء، وفي ظل عمليات الترويع والإرهاب المستمرة من جانب السلطات للسكان المحليين بات الحديث إلى وسائل الإعلام أمرًا محرمًا لا يمكن تجاوزه من جانب السكان ولا السلطات، فالقتل والاعتقال هناك لا يحتاج من الأساس إلى أخطاء أو جرائم من جانب السيناوي، ولذا فالحديث إلى وسائل الإعلام أو إمدادها بالمعلومات جريمة لا تغتفر، ومع هذا الوضع الحرج لم يخلُ الأمر من قلة قليلة من الناشطين والحقوقيين والصحفيين من أبناء سيناء وغيرهم ممن أخذوا على

عاتقهم مهمة إخراج المواطنين في سيناء عن صمتهم وتأمين هذه المصادر بعدم كشفها أو التعريف بها، ورغم قلة وضآلة ما خرج من معلومات فإنها كانت صادمة جدًّا وكشفت عن منحدر خطير لم نسمع عنه من قبل في تاريخ مصر الحديث من الجرائم التي ينتهجها الجيش المصري ومن ورائه الشرطة ضد الأهالي والمدنيين.

ويتابع: إن العملية العسكرية الشاملة التي توجهت نحو أبناء سيناء بعد عجزها عن مواجهة المسلحين هناك، واقتصار التعامل مع المشكلة في سيناء على أنها مشكلة أمنية، وتغليب الحل العسكري العنيف على ما عداه.. أدى إلى شرخ عظيم في علاقة أبناء سيناء والوطن الأم مصر، وقد يحتاج إلى عقود طويلة حتى يمكن التخلص من بعض آثاره، وهو ما يضاعف المخاوف من إمكانية انزلاقه فجأة إلى دائرة التدويل في أي لحظة، فما وقع في سيناء طوال ما يقارب العامين الأخيرين أوجد كل المبررت لما هو أكثر من المطالبة بالتدويل، ونقل الملف إلى المحافل الدولية، والحل الوحيد والعاجل للتغلب على المخاطر المتوقعة من تدويل شبه الجزيرة هو البدء الفوري في إعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي وإسقاط الانقلاب وعمل مصالحة شاملة مع أبناء سيناء، تبدأ من الإفراج عن المعتقلين وصرف التعويضات لهم وللشهداء الذين سقطوا في المواجهات وإعادة المهجرين من بيوتهم قسريًّا في رفح والشيخ زويد وتعويض كل من تضرر بسبب الحملة العسكرية، وفتح صفحة جديدة من التعامل مع أبناء سيناء والبدو، قوامها المساواة التامة، وتنفيذ خطط تنمية حقيقية تستهدف الإنسان هناك بصورة أساسية وتعمل على تمكينه من أرض أجداده بما يخدم المصلحة العليا للبلاد ويحفظ الأمن القومي المصري، ويحقق بالتوازي غرس قيمة الانتماء الحقيقي لديهم من أجل محو آثار التهميش والاعتداء المستمرة بحق شبه الجزيرة وأهلها.

محمد جابر: الحسم يكون بتصاعد المظاهرات الشعبية في الداخل رفضًا للأوضاع المتردية في مصر عمومًا

ويؤكد عضو لجنة الدفاع والأمن القومي بمجلس الشورى الشرعي الدكتورمحمد جابر أن الوضع في سيناء كارثي وغير مسبوق في تاريخ مصر، جرائم قتل خارج القانون، وتهجير قسري للأهالي، وتفريغ لسيناء من مواطنيها، وقتل للأطفال والنساء، واستخدام الآلات العسكرية الثقيلة، ويقابل كل ذلك بصمت دولي على تلك الجرائم.

ويشير «جابر» إلى أن الزيادة في القتل والتخريب التي يقوم بها الجيش قد خلقت عداوات متجددة وهجمات متصاعدة، يفشل

الجيش في التصدي لها أو الحسم معها حتى أصبحت سيناء خارج السيطرة،ورغم استخدام كل المعدات العسكرية والأسلحة الثقيلة فإن الهجمات المسلحة مازالت متصاعدة وموجعة، وهذا ما يشير بشكل واضح إلى فشل الانقلابيينفى سيناء وعدم قدرتهم على الحسم هناك.

وتخوف «جابر» من تصاعد الأحداث بهذا الشكل فى سيناء،فربما يكون ذريعة في المستقبل لتدخل دولي في شئون مصر وتحديدًا في سيناء؛ فليس مستبعدًا أن نرى تحالفًا دوليًا ضد ولاية سيناء لتدعيم فشل السيسي في مواجهته، وفي ذلك خطورته وأثره في مصر والمنطقة وأيضًا في الثورة المصرية.

وأكد «جابر» أن الحسم يكون بتصاعد المظاهرات الشعبية في الداخل رفضًا للأوضاع المتردية في مصر عمومًا، ويكون له أثر كبير فيإسقاط الانقلاب، وساعتها لن يستطيع السيسي مواجهة الشعب على كل الأصعدة في سيناء وخارج سيناء في وقت واحد، وفي هذه الحال تكون الغلبة لإرادة الشعب المصري.

قلم وميدان

فكر ثورة ■■ ثورة فكر

تجارب ثورية (ميدان يناير ثورة المصريين)

الاصطفاف والمجموع الوطني: ٤ عوامل وحَّدت المصريين في ميدان التحرير

كتب:أحمد التلاوي

من بين واجبات الوقت الثوري، هو العمل للاستفادة من التجارب السابقة، سواء في مصر أو غيرها، وخصوصًا التجارب الثورية التي تتشابه في ظروفها وظروف مجتمعاتها، مع الواقع المصري الراهن.

وتُعتبر ثورة يناير، بحكم التاريخ وشهادة العالم، واحدة من أنجح ثورات التاريخ، وأنصعها بياضًا؛ حيث حققت كل ما تسعى إليه- حينها- وفي إطار أخلاقي، جرَّد النظام وقتها من أية إمكانية للتصدي أو التعامل مع التيار البشري الجارف الذي زحف في كل أرجاء مصر، وإذا ما كان المصريون الشرفاء والأحرار في كل مكان من أنحاء هذا الوطن، أو خارجه يسعون إلى تهيئة الأوضاع الاجتماعية والسياسية إلى ثورة جديدة؛ فإن ثورة يناير هي الأقرب والأكثر ثراءً في دروسها التطبيقية واجبة الاتباع.

ومن أهم الدروس التي تعلمها الصف الثوري في مصر، وتأتي بحكم قوانين الاجتماع السياسي التي تحكم الحراك البشري الجماعي، هو درس الاصطفاف الذي تمكنت معه الطليعة الثورية من حشد المليونيات في مختلف ميادين مصر، وعلى رأسها ميدان التحرير.

ويرى الكثيرون أن هذه الحال من الاصطفاف، التي وصلت إلى مستوى من الإجماع المثالي

بالفعل، خصوصًا بعد وضوح إجرام نظام الرئيس المخلوع حسني مبارك، في أحداث التحرير الأولى، وفي يوم الأربعاء الأسود، الثاني من فبراير ٢٠١١م؛ يرون أنها كانت هي كلمة سر التاريخ في نجاح الثورة؛ لأنها- على أبسط تقدير- قد حققت أهم شروط نجاح أي ثورة، وعلى رأسها الجموع الغفيرة الزاحفة، وعزل النظام وأعوانه في ركن ضيق يمثل أقلية ضعيفة أمام غالبية ساحقة تطالب برحيله.

هذه الحال من الاصطفاف الثوري، التي تحولت إلى اصطفاف جماهيري؛ قادت إلى نتيجة شديدة الأهمية، وحاكمة في مثل هذه المواقف، ولها بُعد «فوق دستوري» بالمعنى القانوني والنُّظُمي، وهي أنها تعني استرداد الشعب للشرعية التي منحها للنظام الحاكم، وهي الأهمية الكبرى التي يفرضها الاصطفاف ووجود الجموع المليونية في أية ثورة.

وهذا الأمر على أهميته، قد يكون غير واضح بشكل كامل للجيل الحالي من الثوار، وحتى لبعض شرائح الطليعة الثورية، ربما بسبب عقود التجهيل والتجريف المتعمدَيْن من جانب نظام العسكر الذي يحكم مصر منذ مطلع الخمسينيات وحتى الآن، باستثناء سنوات الثورة القليلة، من ٢٠١١م وحتى ٢٠١٣م، عندما وقع الانقلاب.

فالسلطة السياسية في أية دولة، إنما مصدرها هو الشعب؛ حيث الشعب هو مصدر كل السلطات، وفق كل القواعد المعمول بها في العالم عبر التاريخ، فهو- أي الشعب- الذي يمنح الحُكام سلطاتهم هذه بالتفويض وليس بالأصالة، ويكون بشرط أن يعمل النظام الحاكم على استغلال هذه السلطات التي فوَّضه الشعب إياها، لتحقيق مصالح الجماعة البشرية المحكومة، لا مصالح الحاكمين، وبناء عليه تجب على الشعب طاعة السلطة، ومتى انتفى هذا الشرط ينتفي شرط الطاعة، وفق كل نظريات العقد الاجتماعي.

ومن هنا؛ فقد حقق الاصطفاف في ثورة يناير حالة مثالية من خروج الجماهير إلى الشوارع والميادين، قادت إلى نتائج كبرى، أدت إلى نجاح الثورة، مثل انتزاع الشرعية من الحاكم، والضغط على مؤسسات الدولة الأمنية والعسكرية لأجل الاستجابة لمطالب الجماهير.

بل إن البعض يرى أن الانقلاب لم ينجح إلا بعد أن استطاعت الدولة العميقة في مصر أن تفصم عُرى قوى ثورة يناير، ويقول الباحث والناشط الحقوقي إسماعيل الإسكندراني في إحدى أوراقه، قبل اعتقاله()، في هذا الأمر: «تقهقرت ثورة يناير وهُزمت في جولة ٣٠ يونيو - ٣ يوليو، فصدَعت أصوات مؤمنة بعمق تفاعلاتها الاجتماعية تحت السطح السياسي البائس، وصرّحت- مبكرًا- بأن المعركة لم تنته بعد، ثم تعالت أصوات- مؤخرًا-منادية بالاصطفاف الثوري / السياسي، لكن حلفاء الأمس وجبهات العقد الأخير من حكم الفرعون قبل الأخير، لم يعودوا كما كانوا في نهايات ٢٠١٠».

هذه الأهمية، وهذا التأثير يفرضان البحث عن الأسباب والعوامل التي قادت إلى تحقيق هذه الحال من الاصطفاف الوطني، والإجماع الجماهيري على أهداف الثورة.

١- أول هذه العوامل التي يجب العمل

على وضعها موضع التطبيق من جانب المجموع الثوري في الوقت الراهن، هي الاتفاق على مطالب عامة تمثل الكل المصري، بما قاد الكل المصري إلى دعم الثورة.

ولقد كانت عبقرية من الطليعة الثورية التي صاغت الشعارات المعبرة عن مطالب الشعب المصري في أمور لا يمكن الخلاف أو الاختلاف عليها، مثل: «عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية»، مع ما يتضمنه هذا الشعار العام من مطالب أكثر تفصيلية في مختلف الاتجاهات السياسية والاجتماعية، مثل محاربة الفساد، وإقامة دولة العدل وحقوق الإنسان والقانون، والتوزيع العادل للسلطة والثروة، وكل مفردات الحكم الرشيد، كما يعرفه العالم الحر المتقدم.

انبثق عن ذلك أن هذه الشعارات كانت جامعة؛ لأنها لم تكن حزبية أو فصائلية، ولم تعبر عن مطالب طرف أو بعض أطراف المجتمع، ولكنها كانت معبرة عن مطالب المجموع أو الكل المصري، وبالتالي فقد نالت قبول الجميع، إلا المنتفعين من أصحاب المصالح والمرتبطين بنظام مبارك.

٢- نالت أداة الاصطفاف الرئيسة أقوى ما يمكن لأي حراك أن يناله، وهو تأييد فئة الشباب التي تصرفت بموجب طبيعة هذه المرحلة السِّنِّية بالاندفاع المطلوب، والانطلاق الذي لا يفتر حتى يتحقق الهدف، بعقلية أكثر انفتاحًا حتى من بعض القيادات التقليدية القديمة الموجودة على هرم بعض الأحزاب والمجموعات السياسية التي كانت تتصدر المشهد قبل الثورةوأثناءها.

ويقول الكاتب والأديب عبد الرحمن يوسف() عن أهمية دور الشباب في الاصطفاف الذي أنشأته ما يمكن أن نطلق عليها «الحالة اليناريية الثورية»، قبل الثورة وأثناءها: إن دعوة الاصطفاف تقدم بها، وحملت لواءها مجموعة كبيرة من شباب هذا الوطن من سائر التوجهات والتيارات.

٣- ثَمَّة درس آخر في هذا الجانب خلال ثورة الخامس والعشرين من يناير، وهو أن هناك أضلاعًا أخرى لحراك الاصطفاف، قادته شخصيات ورموز من صُناع الفكر وقادة المجتمع، عملوا على ترشيد حراك الشباب، فهي ثورة شباب في الأساس، تم توجيهها الوجهة السليمة.

ومن بين هؤلاء السفير إبراهيم يسري، الذي تصدى سنين طويلة لتفريط الدولة في ثروات الوطن، والدكتور سيف الدين عبد الفتاح، والدكتور محمد البلتاجي، والدكتور عبد الجليل مصطفى، والإعلامي حمدي قنديل، وغيرهم كثيرون.

٤- هناك أيضًا درس مهم من تجربة الاصطفاف في ثورة يناير، وهو أن الاصطفاف لم يتحقق قبيل الثورة أو أثناءها، فما كان في ٢٠١٠م، و٢٠١١م، إنما تجذر من قبل ذلك بسنوات، وربما منذ العام ٢٠٠٤م، عندما بدأ الإخوان المسلمون في حراكهم السياسي المُنظَّم، وظهرت العديد من الأطر التي يمكن أن نطلق عليها اسم «الجماعات السياسية والاجتماعية البديلة»، والتي ظهرت استجابة لسد نظام مبارك مختلف منافذ العمل السياسي والاجتماعي، وتقييده لحركة المجتمع المدني، وتحول الأحزاب

السياسية الرسمية إلى كيانات كرتونية، صارت واجهةً للنظام، وتخدم مصالحه.

وكانت الحركة المصرية من أجل التغيير «كفاية» و«حركة شباب ٦ أبريل»، والجمعية الوطنية للتغيير»، وتُعتبر تجربة «الجمعية الوطنية للتغيير»، من بين أهم هذه التجارب، وفق الكثير من المراقبين في الداخل والخارج، وكانت محل نظر الكثير من مراكز البحوث الغربية بالذات، والتي كانت تراقب تطورات الأوضاع في مصر قبل الثورة، ومن بينها معهد «كارنيجي» ومركز «بروكينجز».

الجمعية كانت تضم عددًا كبيرًا من المواطنين والقوى على حد سواء، مثَّلت غالبية المصريين على مستوى الانتماءات السياسات الحركية والحزبية والتنظيمية، ومن بينها الإخوان المسلمون، بجانب بعض الأحزاب الرسمية، أو التي لم تزل بعد تحت التأسيس في ذلك الحين، مثل «الغد»، و«الكرامة»، و«الوسط»، و«الجبهة الديمقراطية»، والحزب الشيوعي المصري، وقوى مثل «الاشتراكيون الثوريون»، و«شباب ٦ أبريل».

كما عبَّرت الجمعية عن قسم لا بأس به من المجتمع المدني وشريحة الشباب، وتم اختيار محمد البرادعي، كواجهة للجمعية باعتباره شخصية ذات قبول دولي، وليس محسوبًا على أي طيف سياسي.

وكان هناك اتفاق عام بين القوى التي كانت تنتمي إلى هذا التجمع على مطلب تغيير النظام، من دون أية تفاصيل أخرى جزئية قد تفرِّق المجموع الثوري وطليعته في ذلك الحين، ولذلك نجح الشباب المنضوي في الجمعية، في جمع أكثر من مليون توقيع على بيان «معًا سنغيِّر»، بعد أقل من سبعة أشهر من تاريخ صدوره في الثاني من مارس من العام ٢٠١٠م، وكانت التوقيعات تتم بالأساس من خلال موقع أطلقته جماعة «الإخوان المسلمين»،

بجانب حملة طرق الأبواب التي قام بها شباب الجمعية والحركات المشاركة في الجمعية.

ويشير الدكتور سيف عبد الفتاح- في صدد هذا التجذر الزمني الذي قاد إلى عمق في الفعل والتأثير، أدى إلى نجاح ثورة يناير()-قائلاً: «الاصطفاف عملية ممتدة، تستأهل عملاً متواصلاً لتحقيق الالتئام والتماسك الثوري».

ويضيف في شروط نجاح الاصطفاف، من خلال تجربة يناير، مقدمًا النصح إلى المجموع الثوري في وقتنا الراهن: «يترافق مع ذلك كله خطاب مهم يصدر من قوى وتكتلات سياسية شبابية، عبَّر عن نقلة نوعية حقيقية في الخطاب».

كانت هذه بعض الملامح التي أعطت صورة الاصطفاف الوطني خلال ثورة يناير، ولا نبالغ في القول إن الأمر كان بديهيًّا، ولم يكن هناك خلاف على أهميته في إنجاح الثورة؛ حيث لم يكن هناك الكثير من الكتابات التي تحدثت عن أهمية الاصطفاف وأهمية الكل المصري لإنجاح الثورة، قبل يناير، كما كان الحراك كله موجَّهًا بشكل تلقائي إلى ذلك الاتجاه؛ فانتظام الصف الوطني الطليعي، واجتذاب الكل المصري للخروج، لعل ذلك هو أهم الدروس التي يجب العمل على فهمها جيدًا في الوقت الراهن.

محطات في حياة «ثوري»
(من الشرارة الأولى وحتى يوم التنحي)

كتبها- عماد عنان:

عقارب الساعة تتأرجح يمينًا ويسارًا، تقترب من الخامسة بعد فجر الثلاثاء الموافق ٢٥يناير ٢٠١١، وهاهي السماء التي كانت بالأمس ملبدة بالغيوم تراها اليوم صافية مشرقة، ونسائم الصباح الحانية تداعب زقزقات العصافير على فروع الأشجار، في أجواء تنبئ عن حدث غير عادي، وهذا الشاب المفعم بالقوة والأمل الذي اعتاد الاستيقاظ عقب صلاة الظهر،هاهو ينتفض مبكرًا على غير العادة، بسمته المشرقة تغتال خموله اليومي، وحماسه الفواح يزيل من عليه كل روائح اليأس والإحباط..

«محمد عمر».. ابن محافظة الشرقية، هذا الشاب صاحب الستة وعشرين عامًا، والذي عُرف عنه الصبر وقوة التحمل، الطالب بكلية الإعلام بنظام التعليم المفتوح، والذي كان يراوده حلم الالتحاق بالصحافة؛ حيث كان يرى فيها المرآة الحقيقية للمواطن لمراقبة أداء الحكومة الفاشلة، وفضح ما يمارسه النظام القمعي الفاسد من انتهاكات لآدمية المواطن، لاسيما وهو الذي طالما عانى من هذه الاختراقات أكثر من مرة خلال زيارته لشقيقه الأكبر بالهرم؛ حيث حلَّ ضيفًا عدة مرات على سجون الجيزة والدقي عقب توقيفه من اللجان المنتشرة بطول شارع الهرم وميدان الجيزة؛ بسبب أنه يحمل هويّة مدوَّنًا بها أنه من قاطني الشرقية، إلى الحد الذي دفعه يومًا لسؤال ضابط اللجنة: «هو أنا محتاج تأشيرة دخول عشان أزور الجيزة أو القاهرة؟» وهو

ما استفز «الباشا» بطبيعة الحال، وأقسم أنه لن يعود لبيته مرة أخرى، وهكذا اعتاد محمد زيارة أحد السجون مع كل مرة يزور فيها شقيقه!.

استيقظ محمد من نومه متفائلاً على عكس العادة، بدأ يرتدي «جاكته» الرمادي، ويضع فوق رأسه «الكاب» الأسود، بنشاط لم يعتدْ عليه، وبصورة لفتت نظر والدته الخمسينية.. والتي سألته عن سبب هذا التفاؤل، فأجابها بضحكاته العالية المعروفة عنه: اليوم يا أمي نقول «لا» لكل ما يحدث..اليوم نعبر عن رأينا بحرية وبقوة..اليوم نطلق الشرارة الأولى لاقتلاع هذا النظام الفاسد..سأسافر للقاهرة لمشاركة زملائي في النزول بميدان التحرير للمطالبة بحقوقنا»..وهنا قاطعته والدته: «اهدأ ياولدي هذا الكلام من الممكن أن يضر أكثر مما ينفع»، وهنا انتفض «أبو عمر»، كما كان يلقب: يا أمي لا تقلقي.. هل يعجبك ما نحن فيه؟ الأمور تسوء يومًا بعد يوم.. شلة الحرامية خربوا البلد.. نهبوا ثرواتها.. وأنا وأمثالي من يدفع الثمن..لولم نتحرك الآن يبقى خلاص عليه العوض..يا نعيش بكرامة يا أمي يا نموت...».

وأمام هذا الإصرار المقوَّى بأسنة التحدي لم تنجح محاولات الأم ومفاوضاتها المستميتة في ثني ولدها عن الذهاب للقاهرة، وعقب الانتهاء من تجهيز أموره، وتحضير حقيبةالسفر، إذا بالأم تضم ولدها إلى صدرها بحرارة تحرق معها أفئدة الظالمين، وبقوة تسقط أركان هيبتهم وجدران فسادهم، وتودعه قائلة: خلي بالك من نفسك يا ولدي.. لا إله إلا الله..ويجيب محمد ودموعه تغمر حروفه: محمد رسول الله..دعواتك يا أمي..وينطلق محمد من بيته متوجهًا إلى القاهرة حيث ميدان التحرير.

رحلة أمل..

استقلَّ الشاب المتشح بتلابيب الأمل في تغيير الواقع المر سيارة الأجرة من بلدته متجهًا للقاهرة، وهو يحمل بيده اليمنى حقيبة سفره و با ليسر ى علم مصر يرفرف فوق كتفيه، وإذا به يفاجأ بأنه ليس وحده من قرر ا لا ستجا بة لد عو ا ت ا لتظا هر ، فهناك ما يقرب من ٥ شباب من بلدته يستقلون السيارة نفسها، فهذا الشيخ أحمد الدرعمي مدرس اللغة العربية،

ومحمد كسبر الموظف بالضرائب العقارية، إضافة إلى محمد السباعي المحاسب بالصحة، وما إن رآهم محمد إلا ولمعت عيناه من السعادة؛ فهم رفقاء الدرب وشركاء الكفاح، وتلاحم الشبان الأربعة بالأحضان في مشهد أثار تعجب من في السيارة، فإذا بهم يسألون عن وجهتهم لاسيما وهم جميعًا يحملون بأيديهم أعلام مصر، وكانت الإجابة: ذاهبون لنعيد الوطن المسلوب من لصوصه.

وهنا تبادل الشباب الأربعة دوافع مشاركتهم في هذه التظاهرات بصوت ممزوج بأنّات الحسرة والألم، فهذا سُلب حقه، والآخر انتُهكت كرامته، والثالث وقع ضحية ظلم واستبداد.. إلخ.

أربع ساعات كاملة قضاها أبو عمر برفقة أصدقائه في الطريق إلى ميدان التحرير، وإذ به يرى في طريقه العشرات من الشباب والفتيات، كلٌّ قد حمل علم بلاده في مشهد يشبه مباريات كرة القدم بين الأهلي والزمالك، الشوارع القريبة من القاهرة وقد غطتها الألوان الحمراء والبيضاء والسوداء، النظرات اللامعة التي تضيء عيون الشباب المنتشي بروح التغيير..الكل يرفع شعارًا واحدًا، ويردد نداءً واحدًا «على الميادين كلنا رايحين»، وما إن وطئت أقدام أبو عمر ثرى التحرير إذا به يتنسم عبير التغيير يفوح من بين ثنايا تراب الميدان، فما كان منه إلا أن سجد لله سجدة طويلة قام بعدها ملبيًا: نصرك اللهم الذي وعدت..نصرك اللهم الذي وعدت..

علي ثرى الميدان..

عشرات الشباب افترشوا جنبات الميدان في الساعات الأولى من صباح يوم الثلاثاء، شعارهم كان: «تونس هي الحل»و»يسقط يسقط حسني مبارك» و»الشعب يريد إسقاط النظام»، وبدأت الأعداد في تزايد نسبي؛ ما استفز قوات الأمن التي ملأت أركان الميدان؛ ما دفعهم للاشتباك مع المتظاهرين لكن سرعان ما تراجعوا، وفجأة ومع منتصف النهار فوجئ الجميع بانقطاع الاتصال عبر شبكات الهاتف المحمول في واقعة جاءت على عكس ما كان يأمله النظام؛ حيث ازداد الشباب قوة وحماسة، وبدأ شعور القوة والثبات يتسلل إلى قلوبهم، لمَ لا وهم على يقين أن قطع الاتصال عن الميدان ما جاء إلا لقلق الحكومة مما تقوم به هذه الثلة من خيرة شباب مصر بأكملها؟ وبالرغم من عودة الاتصالات في مساء اليوم الأول فإن الأعداد بدأت تزداد تباعًا على ميدان التحرير من كل الشوارع المحيطة، وفجأة تحول الميدان إلى قبلة يقصدها

كل الحالمين بمستقبل أفضل، لعلهم يتخلصون من دنس العقود الماضية، داعين الله أن يغفر لهم تقصيرهم وخنوعهم طيلة السنوات البالية.
وبينما جموع المتظاهرين تطوف في هدوءإذا بخبر استشهاد ثلاثة من المتظاهرين بالسويس يشعل جنبات الميدان، ويزلزل الأرض من تحت أقدام الجميع، ليزأر الجميع في صوت واحد: الشعب يريد إسقاط النظام، وهنا هرول أبوعمر باتجاه رفقائه، مطالبًا إياهم بالثبات ومحفزًا لهم، ومؤكدًا أن ما حدث في السويس هو نقطة الشرارة الحقيقية لتكرار المشهد التونسي، وهنا تعهَّد الجميع على قلب رجل واحد أن يكملوا المسيرة وألا يغادروا الميدان قبل رحيل رأس النظام وإسقاطه من فوق كرسيه.
الساعات الأخيرة من اليوم الأول تلفظ أنفاسها الأخيرة، بينما الأوضاع في السويس مشتعلة، والأخبار تتناقل عبر مسامع المتظاهرين فتزيدهم إصرارًا وإرادة على إكمال ما قد بدؤوه، واستهل اليوم الثاني إشراقته بمواجهات دامية في السويس؛ حيث تحول الأمر إلى ما يشبه حرب الشوارع؛ أسفرت عن ارتفاع عدد الشهداء إلى سبعة فضلاً عن مئات المعتقلين.
الشباب في ميدان التحرير باتوا أشبه بخلية نحل متماسكة الأركان، الكل في واحد، لا فرق بين غني وفقير، مسلم ومسيحي، أبيض وأسود، إخواني وليبرالي وعلماني وشيوعي واشتراكي، الجميع قد التحفوا برداء عشق تراب هذا الوطن، أيديهم المتشابكة، قلوبهم المتحدة، نظراتهم اللامعة، الهدف واحد، والطريق واحد..وهنا صرخ أبوعمر في قلب الميدان.. الله أكبر.. الله أكبر..فتزلزلت الأرض من تحت أقدام قوات الأمن المنتشرة فما كان منهم إلا أن أطلقوا الغاز المسيل للدموع لتفريق هذه الجموع، لكن هيهات هيهات.. فقد آن للطحالب الصغيرة أن توقف سير السفن العملاقة.

عدوى الثورة..

لم تقتصر عدوى الثورة على التحرير والسويس وفقط، بل تعدت إلى بقية ميادين مصر ومحافظاتها، في الشرقية والمنصورة ودمياط وكفر الشيخ والمحلة الكبرى وطنطا، وبات الأمل في التخلص من هذا الكابوس- الذي اغتال أحلام أجيال تلو أجيال- على مقربة من التحقق..فقط بالصبر والاتحاد يا شباب.
يقول أبو عمر: استمر الحال على ما هو عليه من المواجهات بين الشرطة والمتظاهرين حتى منتصف ليلة الخميس ٢٧يناير؛ حيث فوجئ الجميع بحملة اعتقالات واسعة، وهجوم بالرصاص الحي والمطاطي في كل ميادين الوطن، وهنا انتفض الجميع عقب صلاة الجمعة في اليوم التالي، واشتعلت ميادين مصر بأكملها حتى تمت السيطرة على بعض المناطق كالسويس والإسكندرية ليتم قطع الاتصال بكل أنحاء الجمهورية، ومن هنا كانت البداية..

وكالعادة..جاء انقطاع كل أشكال الاتصال بجميع أنحاء الجمهورية ليضع الجميع أمام اختبار حقيقي، فما هو الهدف من وراء هذه الجريمة؟ وهل هناك مجزرة يخطط لها في غيبة تامة عن وسائل التواصل؟..أسئلة عديدة طرحت نفسها بقوة على عقول وأفهام من هم في الميادين ومن في المنازل، وما هي إلا ساعات

قليلة وكانت الإجابة: زيادة المتظاهرين قوة وصلابة، وحث المتقاعسين في المنازل على المشاركة نصرة لإخوانهم من الشباب المنتفض في جميع شوارع البلاد.

وبينما المواجهات الدامية تدور رحاها هنا وهناك إذا بأصوات المتظاهرين قرب ميدان عبد المنعم رياض تزلزل المكان وتقشعر لها الأبدان، ماذا حدث؟..أسرع أبو عمر تجاه هذا الزئير، وإذا به يرى مبنى الحزب الوطني قد اشتعل عن آخره..الله أكبر..الله أكبر، وفجأة تحول الميدان إلى صوت واحد على قلب رجل واحد: الشعب يريد إسقاط النظام، وهنا فوجئ الجميع بمدرعات الجيش تنتشر في جنبات ميدان التحرير وبقية ميادين مصر بعد الانسحاب المفاجئ لقوات الشرطة.

وهنا يقول أبو عمر: كنا في ميدان التحرير أسرة واحدة، بعضنا يحرس البعض الآخر، صغيرنا يدافع عن كبيرنا، كلٌّ كان له دور يقوم به، فهذا يقوم بدور الصحفي الذي ينقل لنا أخبار المحافظات الأخرى، والآخر يقوم بدور رجل الأمن الذي يحمينا بينما نحن نيام، والثالث يستطلع الأجواء العامة في الميدان ليتَّحد الجميع على قلب رجل واحد، والرابع يراقب قوات الأمن من بعيد خشية الهجوم علينا في أي وقت.. والخامس ينظف المكان الذي كان فيه..ثم نتبادل الأدوار فيما بيننا..

وكنت أنا أتكفل بالحماية تارة، وبالذهاب لإحضار الطعام من بيت شقيقي في الهرم تارة أخرى، كنا نتقاسم الوجبة الواحدة في مشهد لم تره قط عين إنسان..بل وصل الحد إلى تنازل بعضنا عن حصته في الطعام لأجل الآخر، بعض المسيحيين المعتصمين معنا كانوا يتناوبون الحراسة علينا أثناء الصلاة، حتى حين أقدمت قوات الأمن على رشنا بالمياه ونحن نصلي كان أول من دافع عننا هم إخواننا الأقباط..كنا لحمة واحدة، جسد واحد..

فكر واحد..لا صوت كان يعلو فوق صوت المعركة..الشعب يريد إسقاط النظام.

وبينما تشتعل ميادين مصر بالمتظاهرين..

مواجهات مع الشرطة تارة..

ومع الجيش تارة أخرى..

ومع البلطجية الممولين من رجال أعمال الحزب الوطني تارة ثالثة، ومع بداية يوم الأربعاء الثاني من فبراير، فوجئ الآلاف من الشباب المعتصم بالتحرير بهجوم عشوائي من عشرات الخيول والجمال تقل بلطجية بالسيوف والسياط يضربون بها المتظاهرين في محاولة لتفريقهم

بعدما زادت الأعداد بشكل استفز القيادة السياسية وأفقدها التوازن، وهنا يشير أبو عمر إلى أنه كان في هذا اليوم مسئولاً عن مراقبة قوات الأمن من الجيش والشرطة، وكانت جنبات الميدان كلها تحت رقابة اللجان الشعبية من الشباب المتظاهر إلا جانبًا واحدًا فقط كانت مدرعات الجيش موكلة بحمايته تجاه كوبري قصر النيل، مؤكدًا أن الخيول والجمال قد دخلت الميدان من هذا الجانب بعد أن تنحَّت قوات الجيش رويدًا رويدًا، وأبعدت مدرعاتها للخلف قليلاً تيسيرًا لمرور البلطجية.

لحظات فارقة..

ما أجمل أن تتحول المحن إلى منح، والرصاصة التي لا تقتل تقوّي..

كانت هذه العبارات هي المحصلة النهائية بعد مواجهات دامت ما يقرب من ستة عشر يومًا قضاها المتظاهرون في مواجهات مع الأمن هنا وهناك، تخللتها وعود كاذبة عبر بيانين ألقاهما مبارك لتخدير الشعب مرة أخرى، لكن الجموع الفطنة الواعية رفضت كل أنصاف الحلول، وبات الجميع في انتظار الحل الوحيد..رحيل مبارك.

مرت جمعة الرحيل ٤ فبراير، دون أن يتنحى مبارك، دقات أفئدة المتظاهرين باتت نارًا لن تتوانى أن تأكل أمامها كل ما يعترض زحفها نحو الحرية والكرامة، مرَّ أسبوع كامل، وهاهم المتظاهرون قد أعلنوا أنها الجمعة الأخيرة ١١ فبراير..أسموها حينها بجمعة الزحف أو التحدي أو جمعة النصر.. وفجأة يعلن المجلس العسكري المشكل لحل الأزمة عن بيان مهم لمبارك.

يقول أبوعمر: إن هول المشهد وقتها لا يمكن أن يوصف، زفير الملايين في الشوارع المنتفضة- والمتحمسة ضد أي تصعيد يحول دون تحقيق حلمها- حوَّل سماء مصر إلى ضباب أفقد الجميع أي رؤية غير رؤية شبابها الأخيار..الجميع وقد وضع يده على قلبه..هاهو الحلم يوشك أن يكتمل، هاهي شمس الحرية تداعب عيوننا من بعيد..نسائم الكرامة باتت تداعب أنوف المتعطشين، صوت مصر الوطن الأم الحنون بات يتسلل للآذان من بعيد.

ومع الساعة السادسة ودقيقتين مساء يوم الجمعة ١١ فبراير، يخرج عمر سليمان ليعلن تنحّي مبارك عن السلطة وأن يتولى المجلس الأعلى للقوات المسلحة إدارة شئون البلاد، وفجأة اكتست شوارع مصر بأعلامها واكتظت الميادين بشبابها، في مشهد أبهر العالم أجمع وشهد له القاصي والداني.

بين صراخ الانتصار ودموع الفرح وعناق

المحبين عاشت مصر ليلة كتبها شبابها بدمائهم الزكية الطاهرة، سطروا خلالها تاريخًا بأحرف من نور، علَّموا العالم أجمع كيف أن المصري حين يريد يفعل، وحين ينوي يحقق، مهما طال الزمن وانقضت الأعوام.

سبعة عشر يومًا كفيلة بأن تعيد رسم خارطة أرض الكنانة من جديد..سبعة عشر يومًا أخرجت من المصريين أفضل ما فيهم، المعادن النفيسة، والأصل الطيب، والروح العالية، والأخوة المنشودة، والوطنية الراقية..غادر أبو عمر ميدان التحرير برفقة أصدقائه ملتحفين بدفء مشاعرهم ومنتشين بتاج النصر، مؤكدين أنهم لن يركعوا مرة أخرى لحاكم ظالم، ولن يرضوا بعد اليوم بفساد نظام، معاهدين الله عز وجل أن يعودوا مرة أخرى للميادين إذا ما تطلَّب الأمر وفرضه الواقع، غادر الجميع الميدان بعدما أعادوه مرة أخرى لؤلؤة متألقة في الشكل والمضمون..غادر الجمع ولسان حالهم: تخلصنا من الرأس وسنواصل استئصال بقية الجسد..والميدان ليس ببعيد..اللهم لك الحمد.

يوم التنحي.. فرحة النصر وجني الثمار

لم يكن يوم الحادي عشر من فبراير من العام ٢٠١١م كسائر أيام المصريين، أو حتى كسائر أيام ثورتهم التي امتدت على مدار ثمانية عشرة يومًا، من الخامس والعشرين من يناير وحتى ذلك التاريخ.. الحادي عشر من فبراير ٢٠١١م.. يوم لن ينساه المصريون، مهما كانت انتماءاتهم السياسية أو الأيديولوجية.. إنه يوم تنحي الرئيس المخلوع حسني مبارك؛ نزولاً على إرادة المصريين، في سابقة هي الأولى في التاريخ السياسي والاجتماعي المصري..

للمرة الأولى.. المصريون يخلعون الفرعون

كانت هذه اللحظات بالفعل تاريخية.. لم تحدث في تاريخ الشعب المصري من قبل.. للمرة الأولى يخلع المصريون الفرعون، ويلقون به خلف أسوار السجون، هو وزمرته القريبة التي باعت الوطن لأجل حفنة دولارات ومصالح رخيصة..

وبرغم أية تطورات تلت الثورة، وأدت إلى انتكاسات جزئية على مكتسباتها، وكان من بينها خروج مبارك وعصابته من خلف القضبان؛ فإنه تبقى هذه اللحظة؛ لحظة التنحي، والزج بمبارك ونجليه وعصابة وزير داخليته، حبيب العادلي، في السجون، هي واحدة من أهم وأكبر لحظات فرح المصريين.

وتتعدد أسباب فرحة المصريين بهذا اليوم المجيد، الذي سطَّر نفسه كيوم النصر؛ نصر على الطغيان، ونصر على الفساد، ورمز لانتصار إرادة الشعب المصري الذي طالما

اتهمه الجميع بالخنوع والاستسلام للفرعون، وبأنه شعب لا يثور أبدًا..

وهذه الرؤية غير سليمة من وجهة النظر التاريخية الموضوعية، فالمصريون، ومنذ نهايات القرن الثامن عشر، وحتى مطلع القرن الحادي والعشرين، قاموا بالعديد من الثورات، نجح بعضها، وفشل البعض الآخر، ولكن المهم أنه دائمًا ما يثور؛ حيث لا يتوقع الآخرون!.

ثار المصريون مع علي بِك الكبير، ومع علماء وشيوخ الأزهر ضد الغزو الفرنسي، وطردوا جنود الساري عسكر الفرنسيس، وقتلوا كليبر، وتصدوا للفوضى من بعد رحيل الاستعمار الفرنسي.

ثار المصريون مع محمد علي باشا الكبير، لأجل بناء مصر قوية، كما كانوا يأملون وقتها، وثاروا ضد الغزو البريطاني الأول للبلاد في مطلع القرن التاسع عشر، وثاروا ضد الخديوي توفيق، وضد الاحتلال البريطاني.

بل إن التاريخ يحفظ لمصر أن اليوم العالمي للطلاب إنما يؤرَّخ بيوم ثورة طلبة جامعة القاهرة ضد فساد القصر في عهد الملك فاروق الأول، في العام ١٩٤٦م.

ثار المصريون مع ضباط الجيش في ١٩٥٢م، ظنًّا منهم أن الجيش الوطني سوف يقود البلاد إلى التحرر والنهضة والتقدم.. صحيح أنه قد خاب ظنهم؛ لكنهم أيضًا ثاروا.. ثاروا ضد فساد الانفتاح.. وثاروا ضد مبارك مرتَيْن؛ الأولى في أحداث الأمن المركزي عام ١٩٨٦م، وفي ٢٠١١م.

وفي كل ثورة من هذه الثورات، كان هناك يوم نصرٍ، ويوم فرحٍ.. بغض النظر عن سؤال المستقبل..

وفي ثورة يناير، وفي يوم النصر، يوم تنحّي الفرعون؛ كانت مشاعر المصريين متناقضة متضاربة؛ بين حزن على من راحوا على طريق الثورة، وفرح لجني ثمرة تضحيات طالت لسنوات وسنواتٍ.. تحملت فيها الطليعة الثورية الكثير والكثير من التضحيات، من أمنهم وأمن أسرهم، وأموالهم وقوت عِيَالهم، بل ومن حياتهم نفسها..

لذلك فرح الثوار بالتنحي.. رأوا فيه الماء والثلج والبَرَد الذي غسل كل الهموم، وأطفأ كل نيران الصدور حزنًا على من استشهدوا على أرض ميادين وشوارع مصر.. وعلى من ضاعت حرياتهم لسنوات خلف القضبان.. وعلى من صودرت ثرواتهم، وضاع أمنهم وأمانهم على أيدي زبانية الفرعون.. كان ذلك اليوم هو يوم التتويج، والذي حوَّل كل هذه الأحزان والأثقال والأتراح إلى فرحة، بعد أن عَلِمَ الناس أن كل ذلك لم يذهب هباء، وصار له ثمن، وأي ثمن!!..

عبَّر المصريون عن فرحتهم في الميدان الرمز.. ميدان التحرير، وفي كل تحرير اعتصم به الثوار في تلك الأيام التاريخية.. وتباينت طرق التعبير، بين الكتابة على الجدران، والتلويح بالأعلام، والصفير والهتاف والرقص.. بل إن البعض كتب على عينه التي فقدها برصاص شرطة الإجرام، أن مبارك أخيرًا قد رحل.. وكأنه يقول لعينه المفقوده؛ اهنئي؛ فقد انتقم المصريون لكِ..

مسيرات الجموع طافت العاصمة في يوم لم تشهد له المحروسة مثيلاً من قبل.. الجميع يتذكر.. جمعة الغضب.. الأربعاء الأسود.. الخيول تدهس الأجساد الغضة المتفجرة بالثورة.. المليونيات العديدة.... تهديدات بلطجية الحكم السابق.. اتهامات بأن الثورة مجرد وهم.. تحول هذا كله في لحظة واحدة إلى ذكريات رائعة لأيام رائعة.. حملت انتصار إرادة المصريين.. بفضل الله تعالى.. لم تنَم مصر ليلتها.. باتتها في أفراح مستمرة.. أفراح عبرت عن يوم الانتصار.. يوم التنحي!

كيف امتلأت الميادين المصرية بالثوار؟

كتب- عماد عنان

هاهو الشعب الكسول ينتفض، وهاهي الروح المستكينة تثور، وهاهم « عيال « الأمس - كما كان يُطلق عليهم - يقدمون أروع المثل في معاني الرجولة والقوامة والثبات والتحدي.. ساعات قليلة نجح فيها المصريون في إعادة رسم صورتهم الذهنية لدى جميع شعوب العالم... قبيل بزوغ فجر يوم الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١، ماكان يتوقع أكثر المتفائلين أن يستجيب العشرات من الشباب لدعوات التظاهر التي أطلقتها بعض القوى والجماعات السياسية، اعتراضا على الأوضاع المزرية التي واجهتها البلاد، لكن الأمور جاءت على عكس ماكان يتوقع الخبراء والمحللون - المؤيدون والمعارضون - لهذه الانتفاضة الشعبية.

ففي وقت لايساوي في حساب الزمن لحظات فوجئ العالم أجمع بالفضائيات تنقل عبر شاشاتها جموع الشعب الغفيرة وقد خرجت من «بياتها الشتوي» الذي دام عقودا طويلة، لتتوجه صوب ميدان واحد، شعارهم واحد، أياديهم متشابكة، قلوبهم مترابطة، وحناجرهم تعزف نفس اللحن في ذات الوقت..لينتهي اليوم الأول من هذه الانتفاضة وقد تحولت أغلب ميادين مصر إلى قبلة يحج إليها كل المتعطشين لحياة كريمة.

سياسيون: إلقاء الضوء على الفساد السياسي وتعريف المواطنين به أبرز الأسباب

هذه المشاهد المليونية المروعة التي فاقت كل التوقعات، دفعت العديد من علامات

الاستفهام إلى أن تُطل برأسها تبحث عن إجابة..كيف امتلأت هذه الميادين بهذه الصورة في هذا الوقت القصير؟ وماهي الآليات التي دفعت الشعب إلى النزول في مظاهرات لم يعتد عليها طيلة عقود عدة، بالرغم من توفر مقومات ودوافع المشاركة منذ فترات طويلة؟ هذا ماتسعى «قلم وميدان» للوقوف عليه في هذه الاطلالة السريعة، لاسيما في ظل أوجه الشبه الكبيرة بين ماقبل يناير ٢٠١٥ ويناير ٢٠١٦...

الفشل السياسي والخروقات الحقوقية

بداية أشار الكاتب والمحلل السياسي - خالد الأصور-أن السنوات الخمس الأخيرة من حكم المخلوع حسني مبارك كانت حاشدة بالكثير من عوامل الثورة التي تراكمت على مدى الربع قرن السابق من حكمه، ولكن في هذه السنوات الخمس تبلورت وتصاعدت هذه العوامل وشكلت حجرا كبيرا كأنه ينحدر من جبل شاهق، أبرزها، انتهاكات الشرطة ضد المواطنين المصريين بشكل عام، والمعارضين بشكل خاص، والتوسع في الاشتباه والاعتقال، وارتفاع عد المعتقلين ليتجاوز الأربعين ألفا.

وكان الاعتداء على الشاب خالد سعيد وتعذيبه وقتله، وكذلك قتل جهاز أمن الدولة للشاب سيد بلال نتيجة التعذيب كان لهذا دور كبير في بلورة حركة احتجاج شعبية واسعة ضد هذه الانتهاكات.

وأضاف «الأصور» لـ « قلم وميدان» أن من العوامل التي لعبت دورا مؤثرا في حشد الملايين للميادين، الفساد الذي رعته الدولة

وأصبح له مؤسسة تحميه في كافة الأجهزة التشريعية والتنفيذية والقضائية، واقترن الفساد بالسياسة، ولا سيما في قطاعات البترول والغاز والأراضي والممارسات الاحتكارية، وما ترتب عليها من فصل للعمال وتشريدهم ووقفات احتجاجية لم يتم الالتفات إليها، وارتفاع أسعار السلع كافة وخاصة الأساسية منها، وانهيار منظومة التعليم والصحة وإلقائها في ملعب القطاع الخاص الذي لا يقدر عليه إلا الأغنياء، ويضاف إلى ماسبق التزوير الفج للانتخابات البرلمانية التي جرت قبل ثلاثة أشهر فقط من ثورة يناير، والتي كانتعاملا مهما في تضاعف السخط الشعبي، حيث سيطر الحزب الوطني الحاكم على أكثر من ٩٥ ٪ من المقاعد بالتزوير.

وتابع : ويضاف إلى ما سبق من زخم أثار نقمة الشعب، حادث كنيسة القديسين المدبر أمنيا قبل ثلاثة أسابيع فقط من ثورة يناير، والذي راح ضحيته أكثر من ٢٠ قبطيا في إطار محاولة الدولة تحجيم تأثير الكنيسة ورجال الأعمال الأقباط على قرارات الدولة، وإثارة الفتنة الطائفية أيضا ليكون النظام البوليسي باطشا بالجميع، وكانت ثورة تونس التي أطاحت بالديكتاتور زين العابدين بن على شرارة أخرى

شعر منها الشعب المصري بالغيرة والحنق على الديكتاتور مبارك، فكانت ثورة ٢٥ يناير، وكان شعارها الذي يختزل كل الأسباب السابقة الدافعة للثورة : عيش، حرية، كرامة إنسانية..

من جانبه يرى «د.حسام عقل»-رئيس المكتب السياسي لحزب البديل الحضارى-أن العامل الأهم كان فيالتقاء كل القوى والأحزاب والحركات السياسية والمجتمعية على فكرة واحدة وهي إسقاط نظام مبارك واستئناف الحالة المدنية وإبعاد كل هذه الشبكات المسمومة من الإجراءات والقوانين الاستثنائية التي كُبّلت بها مصر طيلة العقود الماضية.

وقال «عقل» إن من أبرز ما لفت نظره قبيل يناير ٢٠١١أن جميع البيانات والتصريحات الصادرة عن التكتلات السياسية والحركات المجتمعية الرافضة لنظام مبارك القمعي أكدت رغبتها في الالتقاء، وأنها جميعا يحدوها عزم كبير في إنهاء حكم الجنرالات ومحاسبتهم بعدالة ناجزة سريعة على كل الجرائم التي ارتكبوها في حق المصريين من انتهاك لكرامتهم وسلب حقوقهم وطمس هويتهم وإهدار أموالهم والإضرار بصحتهم.

وتابع -رئيس المكتب السياسي لحزب البديل الحضارى- أن هناك تشابها ملحوظا في المناخ العام قبيل يناير ٢٠١١ ويناير ٢٠١٦ بالرغم من تغير المشهد، وهو مالمسه من خلال البيانات الصادرة عن الائتلافات الثورة المتعددة.

وفي إطار مقارنته بماحدث في ٢٥ يناير ٢٠١١ والآن في ٢٠١٦أشار «عقل» إلى أن هناك تطورا ملحوظا في تكتيك الفكر والأداء الثوري، يقوم في أساسه على تفتيت المجموع إلى أعداد صغيرة موزعة على الميادين والمحافظات، لحين انتظار اللحظة المناسبة التي تصاب فيها المنظومة الأمنية بالإعياء والتعب ثم يتم الحشد في ميدان موحد كبير يضم كافة الأطياف الثورية.

حقوقيون: الكشف عن الخروقات الحقوقية لكسب تعاطف المجتمع معها له دور محوري

وهو ما اتفق معه الحقوقي جمال عيد-مدير الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان- والذي أكد أن خريطة حقوق الإنسان في مصر قبل ٢٥ يناير كانت تنبئ بثورة مدمرة، حيث وصلت معدلات الانتهاكات لحقوق المواطن داخل السجون والمعتقلات إلى الحد الذي فاق كل الحدود والتوقعات.

وأضاف «عيد» أن حادثة «خالد سعيد» لم تكن هي المحرك الأساسي للثورة، بل سبقتها أيقونات كثيرة تم تسجيلها وفضحها إعلاميا وعبر شبكات التواصل الاجتماعي، منوها أن المناخ الحقوقي الراهن لايقل عما كان قبيل يناير ٢٠١١، مما ينبئ بتكرار نفس المشهد مرة أخرى.

تفعيل مواقع التواصل الاجتماعي

لعبت مواقع التواصل الاجتماعي « فيس بوك - تويتر « دورا بالغ الأثر في إحداث الحراك الثوري على أرض الواقع، وهو ما أشارت إليه «د.سميرة موسى»-أستاذ الإعلام بجامعة كفر الشيخ- والتي أكدت أن شبكات التواصل المجتمعي على الإنترنت كان لها دور محوري في ثورة ٢٥ يناير، إذ حوّلت الثورة من مجرد

احتجاجات فردية ضيقة قبيل يناير، إلى تنظيم قوي قام بدور التعبئة الأيديولوجية للثورة، فانقلبت من ثورة افتراضية على مواقع التواصل الاجتماعي إلى ثورة حقيقية على أرض ميدان التحرير.

وأضافت موسى لـ« قلم وميدان » أن الإنترنت الذي أسقط مبارك، يعتبره الكثيرون من المتابعين للوضع أنه أصبح الآن سلاحا في يد الشعب، حيث حركت مواقع التواصل الاجتماعي الشباب وكونت منهم جيشا على الفيس بوك وتويتر، فمصر الدولة الأولى في الشرق الأوسط استخداما للفيس بوك، واشتهرت جملة تم تداولها على الإنترنت وهي «الثورة بدأت على الفيس بوك وأعطاها تويتر دافعة وقادها موظف على جوجل في إشارة إلى الناشط «وائل غنيم» الذي يشغل منصب مدير تسويق شركة جوجل في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

وفي نفس السياق أشار «د.أحمد سلامة»- أحد المشاركين في ثورة يناير- أن « الفيس بوك « و» تويتر « كان لهما دورٌ محوريٌ في حشد المجتمع للنزول إلى الميادين، حيث تحولت صفحات مواقع التواصل إلى ساحات للنقاش وتبادل الآراء، كل يستعرض تجربته الشخصية مع النظام، ومعاناته من أجل لقمة العيش، فضلا عما يواجهه من ظلم وفساد وانتهاكات لآدميته على أيدي القائمين على أمور الوطن.

وأضاف سلامة لـ« قلم وميدان « أن إنشاء الصفحات المجتمعية والمجموعات المتناسقة على الإنترنت كان له دروه في تعبئة الرأي العام ضد نظام مبارك، وهو مادفع الناس إلى النزول للميادين فور الاتفاق على موعد محدد بعدما وصلت بهم درجة الشحن المعنوي إلى الحد الأقصى.

إعلاميون: تفعيل وسائل الإعلام المختلفة ومواقع التواصل الاجتماعي من مقومات شحن الرأي العام

خطاب إعلامي بمواصفات خاصة

أما فيما يتعلق بدور الإعلام في حشد الملايين للميادين، أكد الكاتب الصحفي «فتحي مجدي»- مدير تحرير جريدة المصريون- أن الإعلام لعب دورًا مهمًا في حشد المصريين خلال أيام ثورة ٢٥يناير، حيث كان أسبق من غيره إلى ذلك، من خلال تناوله للسياسة الكارثية التي كان يدير بها نظام حسني مبارك البلاد في السنوات التي سبقت الثورة، ووصلت إلى ذروتها في عام ٢٠١٠، بعد أن انصرف إلى تعزيز هيمنة الحزب الواحد، كما ظهر في تزوير الانتخابات البرلمانية التي جرت قبل شهور من اندلاع الثورة، فضلاً عن تصاعد رقعة الغضب الشعبي جراء انتهاكات الشرطة، وغض الطرف عنها.

وأضاف «مجدي» لـ «قلم وميدان» أن المثال الأبرز هنا قضية الشاب السكندري خالد سعيد، الذي قتلته الشرطة، وهو ما مهّد بشكل أساسي للثورة ونزول الملايين إلى الشوارع والميادين، من خلال الانتقادات اللاذعة للنظام وقتها، والتي تجسّدت في مقالات الرأي لبعض الكتاب في الصحف الخاصة، وفي تغطيات تلك الصحف للأوضاع آنذاك، مشيرا أنه

لايمكن بأي حال أن ننكر الدور الذي لعبته المواقع الإخبارية، والتي كانت أكثر تحررًا من القيود المفروضة على الإصدارات الورقية، فضلاً عن الدور الذي قامت به الفضائيات، وإن كان أكثرها تأثيرًا يبث من خارج مصر، كما في حالة قناة «الجزيرة»، التي ساندت الثورة منذ اليوم الأول، وعلى مدار ١٨يومًا، من خلال تغطيات متواصلة على مدار ٢٤ساعة، بالإضافة إلى «الإعلام البديل» المتمثل في مواقع التواصل الاجتماعي.

وأشار مدير تحرير «المصريون» أنه في المقابل حارب الإعلام الرسمي (الصحف الحكومية والتليفزيون الرسمي) الثورة بكل قوة، وعمل على شيطنة المشاركين فيها، قبل أن يحدث التحول في موقفه، بعد أن رجحت الكفة لصالح الثوار، منوها أن تسليط الإعلام الضوء على ما حدث بالسويس عشية ٢٨يناير، والتي وصفتها وكالة «رويترز» في أحد تقاريرها بأنها «سيدي بوزيد مصر» حفّز المصريين على النزول في «جمعة الغضب»، وجعلهم أكثر جرأة من ذي قبل على الخروج إلى الشوارع والميادين، وقد كان الظهور المؤثر للناشط وائل غنيم على شاشة إحدى الفضائيات (مع منى الشاذلي في برنامج «العاشرة مساءً» على فضائية دريم») بعد أيام من اندلاع الثورة للمرة الأولى منذ أُلقي القبض عليه لدى دخوله مصر نقطة فارقة في مسار الثورة وقتها، إذ أعاد الناس إلى الميادين بعد أن كان عدد لا بأس به قد انصرف عقب خطاب مبارك الشهير، واقتناع البعض بأن ما قاله كافٍ، فأعطى ظهوره الإعلامي قوة دفع حقيقية للثورة، وقد كان للتغطية الإعلامية المكثفة على مدار أيام الثورة دور كبير في ذلك أيضًا، حتى إن عملية الحشد من قبل الثوار في يوم «موقعة الجمل» من أجل مواجهة زحف البلطجية المدعومين من الشرطة كانت تتم من خلال نداءات عبر الفضائيات.

واختتم «مجدي» حديثه بأن المشهد يمكن أن يعاد بشكل أو بآخر لكن الأمر يحتاج إلى رؤية ناضجة، وتخطيط إعلامي جيد على أيدي خبراء الإعلام المتخصصين حتى نستعيد مشهد ماقبل ٢٥ يناير ٢٠١١ مرة أخرى، لاسيما وأن الأجواء السياسية والحقوقية أكثر قسوة وفسادا مما كانت عليه آنذاك.

الاتصال الشخصي العنقودي

وفي سياق آخر كان للتواصل الشخصي بين المؤمنين بفكرة الثورة والقضاء على الفساد وبين ذويهم من الأقارب والجيران والمعارف دور هام ومؤثر في إحداث الحراك الذي قاد في نهاية الأمر إلى المشاركة في التظاهرات والنزول للميادين، وهو ما أكده كثير ممن شاركوا في الأيام الأولى لثورة ٢٥يناير٢٠١١.

البداية مع «محمد عمر» طالب جامعي وشاب ثوري شارك منذ اللحظات الأولى للثورة، والذي أكد لـ«قلم وميدان» أنه كان دوما مايلتقي بأصدقائه من طلاب الجامعة والعاملين بالجهات الحكومية والخاصة نهاية كل أسبوع للحديث في أكثر من موضوع، تصب جميعها في إلقاء الضوء على الفساد الذي استشرى في جسد الوطن، والانتهاكات التي يواجهها المواطن ليل نهار من القائمين على أمور النظام لاسيما رجال أمن الدولة، ثم ينطلق كل واحد من الحضور ليجتمع بذويه في سلسلة لقاءات عنقودية متواصلة.

ثوار: التواصل الشخصي في صور عنقودية أثبت قدرته على الحشد

وأضاف عمر أنه كان يتلمّس استجابات سريعة وتفاعلا إيجابيا مع من يتحدث معهم، حيث كانوا يلتقون غيرهم من الأقارب أو الجيران في صورة منظمة مما كان له أبلغ الأثر في استجابتهم جميعا حين طُلب منهم النزول والمشاركة في تظاهرات الـ ٢٥ من يناير ٢٠١١.

وهو نفس ما اكده «أحمد الدرعمي»-الداعية والخطيب- الذي كان يتمتع بمصداقية أهل قريته وثقة شبابها، وهو ما هيأ له الأجواء لإدارة العديد من الاجتماعات مع أهل بلدته لمناقشة العديد من القضايا التي تهم حياتهم ومستقبل أولادهم، وكيف أن نظام مبارك مارس أبشع صور الانتهاكات لحقوقهم، والاغتيال لأحلامهم المشروعة.

وأضاف الدرعمي لـ«قلم وميدان» أنه مساء يوم الاثنين ٢٤ يناير ٢٠١١ وحين بلغت دعوات التظاهر ذروتها، اجتمع ببعض جيرانه وأقاربه وتواصل مع آخرين بشأن إمكانية المشاركة في تظاهرات الغد (٢٥ يناير)، وفوجئ حين تلمس موافقة شبه إجماعية على النزول والمشاركة كل في محافظته، مما كان له أثر كبير في امتلاء الميادين في أقل من ساعات منذ انطلاقة الشرارة الأولى للثورة صبيحة يوم الثلاثاء ٢٥ يناير.

قلم وميدان

فكر ثورة ... ثورة فكر

إعلام الثورة

«الأمان الرقمي»... ٤ خطوات يمكنك تطبيقها الآن

إعداد: أحمد ناصر

أصبحت هناك الآن ضرورة في الحياة الافتراضية، لإخفاء هوية الفرد عند استخدام الإنترنت وذلك لمواجهة تعقّب الأجهزة الأمنية للعمل الثوري، ويقدم هذا الدليل المختصر أهم الأدوات التي يمكن أن تُستخدم بشكل مجاني لضمان الأمان الرقمي.

وبسبب عدم انتشار تلك الثقافة؛ يقدم موقع security in a box - النسخة العربية - مجموعة من الترشيحات لموضوعات أساسية وبسيطة عن كيفية استخدام الإنترنت والهواتف الذكية بشكل آمن.

١.قم بوضع كلمة سر قوية

مؤخرًا، أصبح من الطبيعي عند إلقاء القبض على أحدهم - خاصة وإن كان ناشطًا - أن يتم محاولة فتح الحسابات الخاصة بالشخص وتفقد ما تحتويه. فإن كانت كلمة السر قوية وغير موحدة لجميع الحسابات أصبح من الصعب تفقد كل شيء عن الشخص المعتقل.

فالكثير من أساليب الاختراق يكون محورها معرفة كلمات السر؛ وتتراوح ما بين تخمينها، إلى خداعك لإدخالها في المكان غير المناسب، إلى التجسس عليك أثناء إدخالها، وصولا إلى تهديدك لإجبارك على الإفصاح عنها.
وتعتمد كلمات السر القوية على الرموز والأرقام والحروف الكبيرة والصغيرة، وتكون جيدة جدًا إذا تم تضمين كل هذا في كلمة سر واحدة. أيضًا أن تكون غير شخصية شيء مهم جدًا، بحيث لا تحمل معلومات مرتبطة بك يمكن تخمينها والاستدلال عليها. وأن يكون لكل حساب كلمة السر الخاصة به من الأشياء المهمة جدًا،

حيث من الخطأ استخدام كلمة سر موحدة لجميع الحساباتالتي نستخدمها. وأمر أخير أن تقوم بتغيير كلمة السر الخاصة بك كل فترة شيء ضروري، لأن هذا يجعلك أكثر ضمانًا حتى لا يستطيع أحد دخول حسابك دون علمك.

٢.أخف هويتك عن طريق تجاوز الرقابة

من أشهر البرمجيات المستخدمة لدخول شبكة المجهولية؛ برمجية «تور» والذي يمكنك الحصول عليها من https://www.torproject.org/ والتي تدعم الويندوز والماك وتوزيعات اللونيكس. وبالتالي فإن «تور» يُنكر هوية ونشاط المستخدم لمقاومة أساليب كثيرة من تقنيات مراقبة الإنترنت. ومن المهم أن تصبح المجهولية مهمة لك من الآن إن أردت تصفحًا آمنًا، و»تور» يفيد كوسيلة مؤمّنة لتخطي الرقابة على الإنترنت لتتمكن من مطالعة المواقع ونشر المحتوى.

كما أن «تور» متوفر لمستخدمي «أندرويد» مما يسمح -بشكل أكبر- بالتحرك في خفاء على الفضاء الإلكتروني دون تعقب.

٣.احفظ البيانات السرية الحساسة بعيدًا

قد يكون إخفاء بعض البيانات والمعلومات المهمة صعبًا في الكثير من الأحيان ولكنه ليس مستحيلًا إن قمنا بوضع خطوط دفاعية متعددة.

فللوصول لإخفاء أو تعمية تلك الملفات يجب أن نتبع النقاط التالية:

احفظ المادة بعيدًا عن متناول الأيدي، فلا تحتفظ بما تريد إخفاءه في جهازك الشخصي حيث يستطيع أي شخص أن يصل إليه بالمصادفة أو عن قصد، وذلك عن طريق وضعها على أقراص والاحتفاظ بها بعيدًا أو الاحتفاظ بنسخة منها على إحدى منصات الإنترنت.

إن كان الاحتفاظ بتلك المادة على الحاسوب الشخصي أمر مهم، فالحل هو تعمية المادة حيث لا يمكن الوصول لها إلا عن طريق عمل بعض التوليفات. يمكنك إستخدامTrueCrypt وهو يقوم بعمل مجلّدات مُعماة عوضا عن تعمية كل ملف على حدة. تلك المجلداتالمعماة يمكنها استيعاب عدد كبير من الملفات والأدلة، إلا أنها لا تحمي أي ملف محفوظ في أي موضع خارجها على الحاسوب أو في أي وسيط تخزين محمول.

تخزين البيانات السرية أو الخاصة أمر محفوف بالمخاطر لك ولمن يعملون معك. تساعد التعمية على التقليل من تلك المخاطر إلا أنها لا تلغيها. الخطوة الأولى لحماية البيانات الحسّاسة هي تقليل القدر المحفوظ منها. فما لا يوجد سبب وجيه لتخزينه فلا تحفظه، الخطوة التالية هي تعمية ما يجب الاحتفاظ به من ملفات باستخدام أداة مثل تروكربت.

٤.اجعل من هاتفك أداة آمنة

اجعل هاتفك معك دائمًا، ولا تتركه أبدًا بلا مراقبة، وتجنب إظهار هاتفك في الأماكن العامة.

احرص على استخدام رموز القفل السرية في هاتفك أو (PIN) وحافظ على سريتها، وعليك أن تغير دائمًا هذه الأرقام.

علِّم على الشريحة ماديًا بالرسم عليها، وعلى بطاقة الذاكرة الإضافية، والهاتف برمز مميز ويصعب على الغرباء ملاحظته (ارسم علامة صغيرة، أو رسمة، أو أرقامًا وأحرفا، أو جرب استخدام قلم الأشعة فوق البنفسجية الذي لا يظهر حبره في الضوء العادي). ضع ملصقات ضد التلاعب أو شريطًا لاصقًا على أطراف الهاتف. سيساعدك ذلك في معرفة ما إذا عُبث بأحد تلك الأشياء أو إذا استُبدلت (مثلًا: سيكون الملصق ممزقًا، أو منحرفًا عن مكانه الأصلي، أو سيخلف بقايا واضحة).

تأكد من أنك تعرف البيانات المخزنة على شريحتك، وعلى بطاقات الذاكرة الإضافية، وعلى ذاكرة هاتفك، لا تخزن معلومات حساسة على الهاتف؛وإن احتجت إلى تخزين مثل تلك المعلومات فضعها في بطاقات ذاكرة خارجية يسهل التخلص منها عند الحاجة، لا تضع التفاصيل الهامة في ذاكرة الهاتف الداخلية.

حافظ على شريحتك وبطاقة الذاكرة الإضافية (إن كنت تستخدمها)، فربما تحتوي معلومات حساسة مثل تفاصيل الاتصالات والرسائل القصيرة. على سبيل المثال، تأكد من عدم تركها في محل الصيانة عند إصلاح هاتفك.
عند التخلص من هاتفك تأكد من المعلومات المخزنة فيه أو في الشريحة أو بطاقة الذاكرة لن تنكشف (ولو كان الهاتف أو البطاقات معطوبة أو منتهية الاشتراك). قد يكون التخلص من الشريحة بتدميرها ماديًا الاختيار الأفضل.

تأكد من مسح كل المعلومات إذا أردت التخلي عن هاتفك أو بيعه.
احرص على التعامل مع بائعي الهواتف وأصحاب محلات الصيانة الموثوق بهم فقط. سيقلل هذا من الخطر على معلوماتك عندما تشتري هواتف مستعملة أو عندما تصلح هاتفك. احرص على شراء هاتفك من بائع مُرخص ولكنه مختار عشوائيًا، فبهذا تقلل فرصة أن الهاتف مجهز لك خصيصًا ببرمجيات تجسس منصبة عليه.

انسخ معلومات هاتفك إلى حاسوب دوريًا، وخزِّن النسخة الاحتياطية بطريقة آمنة، سيتيح لك ذلك استعادة البيانات في حال فقدت هاتفك، كما سيساعدك الاحتفاظ بنسخة احتياطية على تذكر المعلومات التي قد تكون عرضة للخطر عند ضياع هاتفك أو سرقته حتى تتمكن من اتخاذ الإجراءات المناسبة.
الرقم التسلسلي المكون من ١٥ رقمًا أو رقم IMEI يساعدك في التعرف على هاتفك، ويمكن الوصول إليه بطلب الرقم #٠٦ في معظم الهواتف، أو بالنظر خلف بطارية هاتفك، أو بتفقد إعدادات الهاتف، احتفظ بهذا الرقم وأبقه بعيدًا عن هاتفك، فالرقم يساعد في تتبع ملكيته وإثباتها سريعًا في حال سرقته.

ضع في الحسبان محاسن تسجيل هاتفك لدى مقدم الخدمة ومساوئه، إذا أبلغت عن سرقة هاتفك فسيتمكن مقدم الخدمة من منع استخدام هاتفك، لكن تسجيله يعني أن استخدام هاتفك مربوط بهويتك.

قلم وميدان

فكر ثورة .. ثورة فكر

المقاومة المبدعة

الدور المهني والنقابي في العمل الثوري

تابعنا في الآونة الأخيرة تحركات نقابة الأطباء واحتشادها بأعداد وفيرة للمطالبة بكرامة الطبيب، والاعتراض على إهانة قوات الأمن لأفراد المنهة وإساءتهم لها، كذلك فمن جانبها شهدت نقابة الصحفين تحركات متكررة تتبنى قضايا الحريات بشكل عام، وترفض سياسات القمع والتنكيل والإخفاء القسري.

فهل من الممكن أن تمثل هذه التحركات النقابية إرهاصات ثورية جامعة، أم سوف تقتصر على بعض المطالب الفئوية والمهنية فقط..

مساحات محدودة

بداية ومن جانبه يؤكد «أحمد أبو زيد» -المتحدث باسم الائتلاف الثوري للحركات المهنية- أن: فرص نجاح المقاومة النقابية في مصر قوية؛ لكن ذلك في مساحات خاصة بالمطالب المهنية وفقط في ظل تنامي القمع السياسي الذي يدفع كثيرا من الفئات إلى التقوقع حول ذاتها ومطالبها، وفي ظل مساعي النظام إلى سحب كافة الامتيازات التي حصل عليها المهنيون والعمال من ثورة يناير في مقابل تعظيم مكاسب طائفة أبناء النظام من الجيش والقضاة والداخلية باعتبارهم ركائز حمايته وبقائه في ظل انسداد الأفق السياسي وعدم وجود ظهير سياسي للنظام في الشارع.

يضيف: أما عن احتشاد الجمعيات العمومية على مطالب مُجمعة خاصة بالمجال العام فهذا صعب لحسابات قيادات النقابات السياسية وخشيتهم من النظام لكنهم قد يحتشدون خلف مطالب اقتصادية أو اجتماعية خاصة بكل مهنة على حدة وهذا يصب في توسيع

المجال العام وتأهيله لاحقا لحراك شعبي ينتزع الحقوق السياسية ويعيد مشهد ثورة ٢٥ يناير مجددا.

أبو زيد: عموميات النقابات قد تحتشد خلف مطالب اقتصادية واجتماعية خاصة بكل مهنة

أما عن تحول المطالب المطالب من فئوية إلى ثورية فهذا قد يكون في «الشارع العام» عندما تكتشف الجمعيات العمومية مقدار الغضب المكتوم لدى أصحاب المهن من ممارسات النظام، ما يهيئ الشارع إلى تحرك خارج هذه الأطر ليعيد ترتيب المشهد السياسي مجددا بما يعيد رسم خارطة القوى الفاعلة في المجتمع وقد يسهم في تخليق قيادات جديدة تناسب المرحلة القادمة.

علي المدي البعيد

وفي السياق نفسه يرى «عمار ياسر» -الناشط بحركة مهندسون ضد الحراسة- يرى أن: هناك فرصة لنجاح المقاومة النقابية في مصر لكن على المدى البعيد وليس على المدى القريب، وذلك لأن التكتلات النقابية التي كانت قد وصلت إلى أفضل حالاتها أثناء ثورة يناير ونجحت بنسبة كبيرة في تحرير النقابات من سيطرة الدولة وتوحيد أبنائها على مساعب الاستقلال النقابي وتطوير المهنة ونهضة الوطن، هذه التكتلات بعينها تم استهدافها مبكراً من خلال الثورة المضادة ضمن استهداف كل مكونات ثورة يناير، وبعد مرور ٥ سنوات يمكن أن نقول إن الثورة المضادة نجحت بالفعل في تفكيك التكتلات النقابية وإعادتها ٣٠ عاماً للوراء وأصبحت تحتاج إلى عدة سنوات حتى يتم إعادة بنائها كما كانت عليه قبل وأثناء ثورة يناير.

ويشدد «ياسر» على أن أهم مظاهر الاستهداف الذى تعرضت له التكتلات النقابية كان أولا :الاستقطاب السياسى داخل النقابات وتفتيت التكتلات النقابية الثورية من الداخل وشغلها بنزاعات سياسية وحزبية وتعميق الخلافات والصراعات فيما بينها والإقصاء في بعض الأحيان يصل إلى المشاركة في التنكيل بزملاء المهنة، وثانيا: تشويه الحراك النقابي الوطني والثوري واختزاله في المطالب الفئوية الخاصة والتي لا يتبناها المجتمع، وثالثا: كان هناك القمع والتضييق الأمني واستهداف الرموز الثورية من النقابيين والتدخل في مسار الانتخابات النقابية بما يضمن إقصاء أكبر قدر من الوطنيين والثوريين وإفراز مجالس نقابية موالية للنظام تسهم في القضاء على الحراك النقابي بدلاً من تقويته.

وعلى جانب آخر يؤكد «ياسر» أن احتشاد الجميعات العمومية للنقابات حاليا مرتبط بوجود من يمثلها تمثيلا حقيقيا في مجالس النقابات ولديه القدرة على مواجهة النظام في تبنيه لقضايا أبناء النقابة على السواء بدون تمييز أو إقصاء، وهذا يحتاج إلى جهود ومساع مسبقة تعالج آثار الاستقطاب الحاد وتعيد توحيد أبناء المهنة على أساس المهنة وليس على أساس الانتماءات والمواقف السياسية.

ومن جانبه يشدد «ياسر» على أن: وضْم الحراك النقابي الوطني والثوري بالمطالب الفئوية يهدف إلى تشويهه وإضعافه والقضاء عليه؛ على اعتبار أن المجتمع لن يتبنى مطالب فئوية خاصة إلا إذا كانت تتقاطع بشكل واضح مع معاناة إنسانية عامة يعاني منها المجتمع ككل وعلى رأسها مسألة الكرامة الإنسانية.

عمار ياسر: هناك فرصة حقيقية لنجاح المقاومة النقابية في مصر لكن على المدى البعيد

تمهيد لبيئة ثورية مناسبة

وفي السياق نفسه يقول «د.أحمد رامي»- عضو الجمعية العمومية لنقابة الصيادلة- إن الفعل السياسي والنقابي عادة ما يكون من داخل النظام، ومن ثم فسقفه غالبا ما يكون منخفضا عن أي فعل ثوري، كما أن النقابي بطبيعة الحال سقفه منخفض عن الثوري، ولذا ففي الغالب لا يعتبر أيا منهما فعلا ثوريا؛ إلا أنه في ذات الوقت الممارسة النقابية والسياسية الجيدة توفر بعضا من متطلبات التحول الديمقراطي مثل إيجاد مجتمع مدني ومؤسسات مجتمعية قوية تغل يد السلطة نسبيا، وإيجاد ثقافة لازمة لتشكيل رأي عام منحاز لقضايا مثل حقوق الإنسان والتضامن المجتمعي للوقوف ضد انتهاكها، وكل هذا يوفر الأرضية والبيئة اللازمة للعمل ثوري.

يتابع «رامي» ما علينا هو أن ندعم كل تحرك لنيل حق وكل وقفة لنصرة أي مظلوم، في حين أن العمل النقابي لا يتحول إلى عمل ثوري إلا بعد تراكم ممارسات نقابية في قطاعات مختلفة يصل بعدها الجميع إلى حتمية التحرك الجماعي لتحقيق مطالبهم وإلى أنه لا حل جزئي لتحقيق مطلب لفئة دون أخرى، وهنا أعنيأنه لا بد من أن يتنوع ليشمل كافة الفئات من النقابات المهنية والعمالية، ثم لاحقا يتم التنسيق بينهم، ثم اليقين والعمل المشترك من أجل تغيير سياسي للحصول على المطالب التي كان البعض يظنها فئوية، وهذا هو التحدي الحقيقي أن تثبت الممارسة النقابية أن الجميع يعاني من ذات الشكاوى، وأنه لا حل لمشاكل فئة دون أخرى، ولا حل من داخل النظام السياسي.

وهناك أمر آخر يرى «رامي» أنه يتحقق من خلال التحركات النقابية ألا وهو: صناعة الزعامة الثورية، وذلك على غرار ما حدث سابقا مع «ليشفاونسا» في بولندا؛ حيث كان «ليشفاونسا» قيادة عمالية نقابية، قاد حركة نقابية للمطالبة بمطالب عمالية في البداية، ثم استدعى تطور الصدام مع الحكومة للإضراب العام، فتحول لزعيم سياسي.

ويستبعد «رامي» أن تخرج مثل تلك الزعامة من داخل تشكيلات المجالس النقابية الحالية، وذلك لأنها أتت بانتخابات لا نستطيع أن نقول إن لها قاعدة جماهيرية، نظرا لتدني المشاركة، وفي هذا فقد تخرج مثلا زعامة كتلك من تحركات رابطة أسر الصحفين المعتقلين، بعيدا عن مجلس النقابة الحالي، كنا أن في كل مهنة تلعب اتحادات الطلاب دورا هاما إذا اهتمت بالقيام بدور قريب ومتماسّ مع المجالس أو الجمعيات العمومية.

د.أحمد رامي: الممارسة النقابية الجيدة توفر بعضا من متطلبات التحول الديمقراطي

وبشكل مباشر وحول فرص النجاح أمام التحركات النقابية للتحول إلى فعل ثوري يقول «د. ياسر فرج»- الباحث السياسي- : يمكن النظر إلى التحركات النقابية الأخيرة إلى أنها تأتي في إطار سلسلة متصلة من التفاعلات الاحتجاجية ضد الانقلاب أو النظام القائم. يضيف: لا يمكن إغفال الطابع الثوري في الحشد الذي ظهر عليه اجتماع نقابة الأطباء الأخير احتجاجات على الاعتداء على أطباء المطرية. حيث إنه من المؤكد أن كثيرا من المشاركين في الجمعية أو الأغلبية العظمى منهم كانت مشاركة أو مؤيدة لثورة يناير ومعارضة صراحة أو ضمنا للنظام الحالي بفرض أن المؤيدين للنظام الحالي من الأطباء غالبا لا يشاركون في هذه الاحتجاجات، ومن ثم فلابد من النظر لنوعية المشاركين في هذه التحركات النقابية سواء للأطباء أو للمحامين في البحيرة أو مرسى مطروح. حيث إن الثوار منهم يستطيعون تحويل الفعل الاحتجاجي من خلال النقابات إلى ما يشبه كرة الثلج لتزداد فرص التحول لثورة.

يتابع «فرج» أنه يمكن إبراز أهم العوامل التي من الممكن أن تسبب نجاحا للتحركات النقابية للتحول إلى فعل ثوريفي الآتي:

١- استمرار الضغط من قبل النقابات على السلطة القائمة لإرجاع حقوقها ووقف الاعتداءات الحاصلة على أعضائها من قبل أفراد الأمن والإصرار على تقديم المعتدين للمحاكمات العاجلة والعادلة مع مراقبة إجراءات التقاضي ورفض أي محاولات للصلح.

٢- النقطة السابقة ستشكل ضغطا كبيرا على النظام وعلى آلية عمله وتماسكه الداخلي بين مؤسساته الأمنية التي قامت منذ الانقلاب على فرضية عدم محاكمة أي فرد أمن يعتدي على مواطنين أو عمل محاكمة صورية لهم حتى لا ينفرط عقد التحالف بين المؤسسات ومن ثم ينهار تماسك الانقلاب.وبالتالي فإنه متوقع ألا يستجيب النظام لهذه الضغوط ويحوّل أفراد الأمن للمحاكمة خوفا على تماسكه الداخلي، مما سيزيد الضغوط النقابية والاحتجاجية ليس في نقابة الأطباء وحدها ولكن في كثير من النقابات التي أعلنت تضامنها مع الأطباء خوفا من أن تطالهم هذه الاعتداءات مستقبلا خاصة بعد أن طالت المحامين في البحيرة ومطروح.

٣- استمرار وتفعيل التضامن بين النقابات كما حدث في الجمعية العمومية للأطباء مما يزيد من تماسك الحركة الاحتجاجية ويوصلها إلى قطاعات وفئات جديدة.

٤- عدم تصدر أى دعوات سياسية للاحتجاجات النقابية كان عاملا مؤثرا على نجاح نقابة الأطباء في الحشد، وخاصة صعوبة اتهام النظام لهم بأن الحشد إخواني الهوى، مما أسهم في زيادته بصورة غير مسبوقة. وبالتالي يمكن البناء على نفس الدعوات في أي احتجاجات نقابية قادمة.

٥- أهمية وجود مجموعة تخطط لدراسة أسباب الاحتجاجات النقابية وكيفية البناء عليها وتشكيل مجموعات للتواصل مع أعضاء النقابات وحتى روابط الأولتراس والمجموعات السياسية للاتفاق على مطالب عامة للجميع يمكنهم التوحد عليها أمام النظام.

٦- وجود دعاية مضادة لدعاية النظام وأتباعه وأفراده الأمنيين في نظرتهم لأنفسهم ووظيفتهم بأنهم الأكثر تضحية والأكثر وطنية. والرد بأهمية أدوار الوظائف الأخرى بالقول من سيعلمك ويعلم الشعب القراءة لتحسن عملك في الجيش والشرطة، من سيعالجك إذا أصبت أو مرضت، من سيطعمك إلا الفلاح ومن سيزيل قمامتك إلا عامل النظافة ومن سيبني لك وللشعب المنازل إلا المهندسون وعمال البناء.. إلخ، فإبراز جوانب أهمية كل وظيفة مع أعضائها سواء المهندسين أو المحامين أو العمال أو الفلاحين يكرّس نظرتهم لأنفسهم وإحساسهم بقيمة ما يقومون به بجانب ما يقوم به أفراد الأمن، فتبدأ النظرة المتعالية لأفراد الأمن والسلطة في الخفوت تدريجيا، ويعرف كثير من قطاعات الشعب أن لكل وظيفة أهميتها ولا فضل لوظيفة على وظيفه إلا بحسن أدائها.

د. ياسر فرج: الثوار يستطيعون تحويل الفعل الاحتجاجى إلى ما يشبه كرة الثلج

ويختتم «فرج» بقوله: عندما تُشعِر كل فرد في المجتمع بذاته وأهمية دوره ستجعله مع الوقت لا يقبل أي اعتداءات على حريته أو على نفسه بداعي الأمن أو الاستقرار، وكذلك ستدفعه إلى التضامن مع غيره من أصحاب المهن والوظائف الأخرى خوفا من أن سكوته الآن سيجعل الاعتداء يطوله في المستقبل؛ وبالتالي يزداد التضامن بين فئات المجتمع المختلفة وصولا لحالة ثورية كاملة لن تكون على غرار حالة يناير فقط ولكن بصورة أكبر منها خاصة بعد أن انكشفت كل الأقنعة عن الجميع.

«القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية»

كتاب هام يطرح أفكارا مغايرة للعمل الثوري

لا يخفى على أحد من الصف الثوري الآن في مصر ضرورة تنويع وسائل الحراك والمقاومة؛ ومع محاولات الانقلاب المستمرة تشويه وعي وضمير تلك الأمة؛ بات واضحا أن معارك الوعي تأتي في المقدمة، ومن ثم وجب الالتفات إلى آليات ووسائل تلك المعركة.

وتعد «القوة الناعمة» استراتيجة متكاملة للحديث عن آليات التأثير وإعادة تشكيل فكر ووعي الآخرين، وفي ذلك يطرح كتاب «القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية» بعض الأفكار الهامة في هذا المجال. والكتاب صدر في ٢٠٠٤، وصدرت طبعته العربية في ٢٠٠٧، لمؤلفه «جوزيف س.ناي»، ومن تقديم د. عبد العزيز عبد الرحمن الثنيان. في البداية يقول المترجم د. محمد توفيق البجيرمي: «إن المؤلف هو مساعد سابق لوزير الدفاع الأمريكي، ويعلم مصادر ووسائل القوة الصلبة والناعمة؛ ولئن كانت أسرار القوة الصلبة حكرا على ملاك الأسلحة الفتاكة فإن أسرار الأسلحة الناعمة متاحة ومعروضة؛ فهي التي تجعل الآخرين يعجبون بمُثُلِك وتغريهم مبادئك».

إن القوة الناعمة -كما يقول المؤلف- سلاح مؤثر يحقق الأهداف عن طريق الجاذبية بدلا

من الإرغام أو دفع الأموال، ويشير المؤلف إلى جدار برلين فيقول: جدار برلين كان قد تم اختراقه بالتليفزيون والأفلام السينمائية قبل زمن طويل من سقوطه في عام ١٩٨٩؛ ذاك أن المطارق والجرافات ما كانت لتنتج لولا انتقال الصور المبثوثة من ثقافة الغرب الشعبية على مدى سنوات طوال فاخترقت الجدار قبل أن يسقط.

ويتناول مصادر القوة الناعمة عند أمريكا، فهي أكبر مصدر للأفلام والبرامج التليفزيونة في العالم، وفيها أكثر من ٨٦ ألف باحث أجنبي، وتمثل المرتبة الأولي في الفوز بجوائز نوبل في الفيزياء والكيمياء والاقتصاد، وتنشر كتبا أكثر من أي بلد آخر، ويوجد فيها ٢٨٪ من بين

مليون وست مائة ألف طالب مسجلين في جامعات خارج بلدانهم.

في مطلع الكتاب يقول المؤلف حول مفهوم القوة إنها: القدرة على عمل الأشياء، وهي القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج التي يتوخاها المرء.

ثم ينطلق للرد على الأسئلة التي تتردد في نفس كل من يقرأ هذا التعريف، والتي تدور حول كيفية تحقيق هذا، وكيف يمكن أن تقوم «القوة» من هذا المدخل بدورها، وهنا يضطر المؤلف للانتقال في الحديث عن الاستراتيجيات، فيقول: «إن تحويل الموارد إلى قوة متحققة، بمعنى الحصول على النتائج المرغوبة يتطلب خططا استراتيجية جيدة التصميم وقيادة بارعة، ومع ذلك فكثيرا ما تكون الاستراتيجيات غير ملائمة...»..

ويتخذ المؤلف من أمريكا مثالا على فكرة طبيعة القوة واختلافها؛ فيؤكد أن الأمر لا يصح أن يكون مطلقا في الزعم بأن أمريكا هي القوى العظمى، لأن «توزيع موارد القوة في عالم المعلومات يختلف كثيرا بالنسبة لقضايا مختلفة، فالأمر مثل لعبة «الشطرنج ثلاثية الأبعاد، لا يستطيع المرء فيها الفوز إلا إذا لعب بطريقة عمودية وأفقية في الوقت نفسه»، ويضيف: أنه وعلى الرقعة العليا للقضايا العسكرية التقليدية الكلاسيكية فبالفعل الولايات المتحدة هي القوة العظمى، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للرقعة الوسطى الخاصة بقضايا الاقتصاد التي يتدخل فيها الاتحاد الأوروبي واليابان والصين بشكل كبير، وكذلك ليس كذلك بالنسبة للرقعة السفلى والخاصة بدول العالم النامي وقضايا البيئة والأمراض وما يسميه المؤلف «قضايا الإرهاب».

يجب تحويل أفكار التأثير والانجذاب إلى استراتيجيات فاعلة

ويستبعد المؤلف أن يكون المقصود من القوى الناعمة هو فقط التأثير في الآخرين، ولكنه يضيف إلى ذلك فكرة «الانجذاب»، فيقول: إن القوة الناعمة أكثر من مجرد الإقناع أو القدرة على استمالة الناس بالحجة، ولو أن ذلك جزء منها، بل هي أيضا القدرة على الجذب، وهو كثيرا ما يؤدي إلى توليد التعاون نتجية الانجذاب إلى القيم المشتركة، والعدالة.

ويري المؤلف أن القوة الناعمة لبلد ما ترتكز على ثلاثة موارد: ثقافته (بالقدر التي تكون جذابة للآخرين)، وقيمه السياسية (عندما يطبقها بإخلاص في الداخل والخارج)، وسياسة الخارجية (عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية أخلاقية). فعندما تحتوي ثقافة بلد ما على قيم عالمية، وتروج سياساته قيما ومصالح يشاركه فيها الآخرون، فإنه يزيد من إمكانية حصوله على النتائج المرغوبة بسبب علاقاته التي يخلقها من الجاذبية والواجب، فالقيم الضيقة والثقافات المحدودة يقل احتمال إنتاجها للقوة الناعمة.

وفيما يخص «البراعة في استخدام القوة

الناعمة» يؤكد المؤلف أن الخطر الآن لم يعد في توافر المعلومات، بل أصبح الخطر هو انفجار المعلومات، حيث تعمل هذه الكثرة الشديدة على تشتيت الانتباه، فيفقد المتابع القدرة على تلقف المهم من غير المهم، يقول: «ووفرة المعلومات تؤدي إلى ندرة الانتباه، فعندما يغرق الناس في حجم المعلومات التي تواجههم، يجدون صعوبة في تمييز ما يركزون عليه، وبذلك يصبح الانتباه هو الشيء النادر، وليس المعلومات؛ فالذين يستطيعون تمييز المعلومات القيمة من فوضى الخلفيات المتراكمة يكتسبون قوة، ويكون مصدر القوة للقادرين على إخبارنا أين نركز انتباهنا».

ويشدد الكتاب على قيمة هامة في هذا الإطار وهي «المصداقية»: «فالجماهير صارت أكثر وعيا وتحسسا، ومن ثم تجيد التفريق بين ما هو صادق، وما هو دعاية سوداء أو رمادية»؛ «فالحكومات تتنافس مع بعضها بعضا، ومع منظمات أخرى لتعزيز مصداقيتها وإضعاف مصداقية خصومها».

ويضرب الكتاب مثالا على هذا من: «الصراع بين صربيا وحلف شمال الأطلسي لتأطير تفسير الأحداث في كوسوفو عام ١٩٩٩ والأحداث في صربيا بعد ذلك بعام. فقبل المظاهرات التي أدت إلى إسقاط «سلوبودان ميلوسوفيتش» في أكتوبر عام ٢٠٠٠، كان ٤٥٪ من الصربيين البالغين قد تحولوا إلى راديو أوروبا الحرة وصوت أمريكا، بينما لم يكن يستمع إلى المحطة الإذاعية التي تسيطر عليا الدولة (راديو بلغراد) سوى ٣١٪. وعلاوة على ذلك فإن محطة إذاعة صربيا المحلية البديلة (بـ٩٢) كانت تقدم وصولا إلى الأخبار الغربية وعندما حاولت الحكومة إغلاقها فإنها استمرت تقدم مثل تلك الأخبار على شبكة الإنترنت».

«القوة الناعمة» ليست فقط منتجات ثقافية بل هي أخلاق وقيم ومصداقية

فالمعلومات التي يبدو أنها دعاية يثبت أنها ذات نتيجة عكسية إذا قوضت سمعة مصداقية البلاد؛ فالمزاعم المبالغ فيها عن وشك حصول «صدام حسين» على أسلحة دمار شامل، وعن قوة علاقته مع القاعدة ربما تكون قد ساعدت على حشد الدعم المحلي للحرب على العراق، ولكن فضح المبالغات في وقت لاحق قد سدد ضربة فاحة للمصداقية البريطانية والأمريكية، وفي ظل هذه الظروف الجديدة لعصر المعلومات ومصادر الأخبار البديلة، فقد يثبت بصورة متزايدة أن الإقناع بصورة ناعمة أكثر فعالية من الإقناع بصورة صلبة».

وفي الختام وتحت عنوان «تكاليف تجاهل القوة الناعمة» يؤكد المؤلف أنه: «ليس من الذكاء الانتقاص من القوة الناعمة باعتبارها مجرد مسألة صورة، وعلاقات عامة وشعبية مؤقتة زائلة، بل إنها شكل من أشكال القوة ووسيلة للحصول على نتائج مرغوبة»

كيف تنجح المقاومة المبدعة في مصر؟

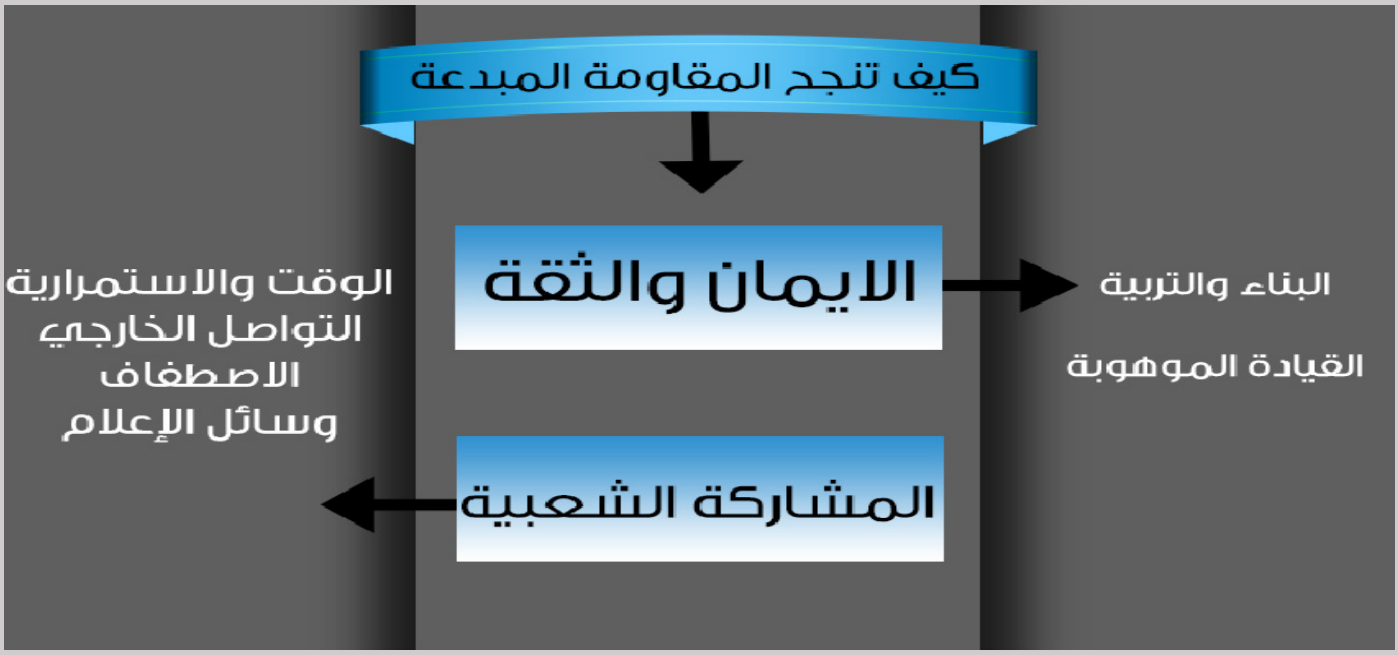

د.هاني جبر

المقاومة المبدعة وحرب اللاعنف من المصطلحات الثورية العالمية المتعارف على أنها أكبر وسائل المقاومة والمعارضة التي يمارسها الشعب ضد الاحتلال أو ضد أي نظام ظالم مستبد.

وجه حديثنا اليوم سيكون على الفئة الأقوى والأكثر عددا وهي الشعب الذي تنتمي إليه الجموع العريضة من المواطنين داخل هذه الدولة... فدعونا نتحدث أننا كشعب لا نملك سوى العمل السلمي وحرب اللاعنف والتي أثبتت على مر التاريخ أنها الأقدر على الانتصار.. ولا شك أن اللاعنف سلاح صعب ويحتاج إلى كثير من التضحيات.. ولا شك بأن العنف يولد عنفا والدماء تنادي الدماء، فانتهاج نهج المقاومة المسلحة من قبل الشعب أمر مرفوض تماما.

وهذه السطور هي دعوة لتبني استراتيجية صحيحة ومختلفة للمقاومة والمواجهة تؤدي إلى الهدف في النهاية ولكن بطرق أخرى أكثر فاعلية وأقل دموية... فنحن نريد الحرية والديموقراطية السليمة والإنسانية الحقيقية وتحرير الشعب وبناء الدولة.. كل هذا صحيح وشرعي ومبني على قواعد الشرعية الدولية.

وتتلخص أهم الشروط الأساسية لنجاح المقاومة المبدعة..وحرب اللاعنف:

١-الإيمان والثقة

- الإيمان بأن النصر يأتي من عند الله تعالى وبأن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم...
- بداية التغيير يبدأ من نفسك.. فابدأ أنت بالتفكير والتنفيذ في وسائل المقاومة المبدعة واجعل من نفسك قائد الثورة، ولا تنتظر

غيرك ليحركك؛ فلديك الكثير من الوسائل وطرق المقاومة تستطيع أن تفعلها ولا تعود بالضرر عليك من أي اتجاه.

•الثقة التامة بأننا قادرون على النصر وأن الباطل والظلم أضعف ما يكون وأن الله سبحانه وتعالى يزيد ظلم الظالم حتى يخسف به الأرض.

•الثقة والإيمان بأن القادر على التغيير هي الفئة القليلة من الشعب التي تسير على الحق وليس الأغلبية الساحقة؛ فهي تابعة تتبع من تشعر منه بالحماسة والقوة.... ليست القوة المسلحة ولكن قوة الإرادة والعزيمة...

٢-البناء والتربية..

--- ضع في عقلك وقم بتربية نفسك علي ... فاللاعنف يقوم بالأساس علي ضبط النفس أمام العنف والظلم، وعلي اتخاذ الوسائل السلمية للمقاومة، انطلاقاً من الإيمان بعدالة القضية التي يناضل المرء من أجلها وفقاً للشرعية الدولية. فردُّ الفعل الطبيعي والأولي أن يقابل الإنسانُ العنفَ بالعنف، انطلاقاً من مبدأ «ما أُخِذَ بالقوة لا يُستَرَدُّ إلا بالقوة » و «من يزرع الريح يحصد العاصفة» ؛ ولكن عند اختلال ميزان القوة المسلحة فإن استخدام قوة أقل يؤدي إلى استقواء الجانب القوي المتفوق على الضعيف، وإلى إلحاق أكبر قدر من الخسائر في جانبه، لإضعافه وتلقينه درساً ليدرك بأنه لا يستطيع أن يهزم جيشاً جراراً مسلحاً بأحدث التقنيات الحربية من هنا يجب تحييد القوة المسلحة، واللجوء إلى قوة من نوع آخر، هي قوة الشعب، وقوة الحقيقة، وهذه القوى لا تُهزَم حتى أمام أعتى الجيوش، لأنها ببساطة تقوم بإصابة القوة المادية بالشلل .

ولكن هذه المبادئ بحاجة إلى تربية وإلى عقلية؛ ونعني بذلك تدريباً إيديولوجياً للشعب، ابتداء من القاعدة صعوداً إلى القمة، انطلاقاً بالصغار وصولاً إلى الكبار، بحيث يصبح هذا التفكير نهج حياة، وتُتَّخذ هذه الطريق خياراً استراتيجياً جذرياً وحيداً للمقاومة.

وقد تلعب في تدعيم هذا الفكرة القيمُ الدينية والأخلاقية الإيجابية في الديانات السماوية، من جهة، ودراسةُ نماذج ماثلة في المقاومة استُخدِمَت عبر التاريخ.

يجب تحييد القوة المسلحة.. واللجوء إلى قوة من نوع آخر.. هي قوة الشعب و قوة الحقيقة

من جهة ثانية. بطبيعة الحال، فإن الأمر لا يمكن أن يحدث بين ليلة وضحاها، ولا يمكن التحول إليه بسرعة البرق، بل هو بحاجة إلى وقت وتمرين ومناهج دراسية ومعسكرات تدريب وتعبئة جماهيرية. ولكن يمكن على الأقل تبنّيه من حيث المبدأ، والتوجُّه نحو تحقيق ما يمكن تحقيقه بالسرعة الممكنة.

٣-القيادة الموهوبة الواعية ..

إن وجود قيادة ثورية موهوبة واعية من أهم أساسيات نجاح المقاومة المبدعة .. وقد منح

الله ثورة مصر المباركة قائدا موهوبا ولديه وعي سياسي كبير حفظ مصر من حرب أهلية ضخمة كانت ستحدث لولا توفيق الله له وتمسكه بالسلمية المبدعة وعدم دعوة أنصاره إلي العنف والقتل ... وثباته علي الحق وعدم تنازله عن حق شعبه في طرق ديمقراطية سلمية وحديثنا في هذه الفقرة عن القيادة الميدانية التي يجب أن تتحلي بنفس صفات قائدها وهي الموهبة والوعي الثوري السلمي ... فوجود قيادة كارزمية، تجمع حولها ذوي النوايا الحسنة وتعيد تنظيم الأمور، يمكن أن تنجح في استقطاب الكثيرين، لا بل في حشد الجماهير.

فنحن بحاجة إلى غاندي مصري، أمثال الزعيم الهندي المهاتما غاندي، أو الزعيم الأمريكي الأسود القس مارتن لوثر كينغ، أو الزعيم الجنوب أفريقي نلسون مانديلا وكان لدينا الكثير من أمثال هؤلاء ولكنهم الآن داخل السجون ... فلابد من ظهور جيل جديد يتبني ويعمل بنفس الروح وبروح الشباب لإنجاح المقاومة المبدعة وحرب اللاعنف ويبتكر الوسائل الجديدة لإنجاحها .

وهذه القيادة الميدانية يجب أن تكون قادرة علي :

- الحشد الميداني
- التخطيط والتركيز
- الوعي السياسي والحركي
- التفكير خارج الأطر والغير متوقع
- الإتفاق والاصطفاف والتوحد خلف أهداف موحدة
- الجذب الإعلامي و السياسي

٤-المشاركة الشعبية..

إن سرَّ نجاح سلاح اللاعنف هو قوة الشعب وقوة الجماهير. فهي كالنار الآكلة التي لا تطفئها مياه الطوفان الغامرة. ومن هنا هناك ضرورة لتجنيد الجميع في هذا الكفاح، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساء إن قوة الشعب تعني نزول الجميع إلى الشارع، وانتقال هذه العدوى إلى شارع العدو وصفوفه، باكتساب الأصدقاء والمناصرين، لا بل تجاوزها إلى بلدان العالم الصديقة التي تناصر قضيتنا العادلة.

إن مشاركة الشعب، بكل فئاته واتجاهاته، في جميع مدنه وقراه ، ستُحدِث حالة إرباك في الجانب الآخر، وتشلُّ حركة قواته ودباباته، وتجعل من أسلحته ألعاب أطفال غير قابلة للاستخدام.

ولأهمية الحشد الشعبي لابد من التواصل الفعال والحقيقي مع المجتمع واستخدام كافة الوسائل التي تعمل علي توصيل الحقيقة للصغير قبل الكبير مع اللحمة الشعبية التي لا بد أن تتوافر وخصوصا في المطالب الحياتية والمعيشية للشعب المصري .

٥-الوقت و الإستمرارية ...

هذا العنصر ضروري جداً. فلا يكفي القيام بمظاهرة أو مسيرة أو اعتصام، ثم إعلان الإفلاس وتحديد موعد آخر بعد شهور؛ بل يجب التعبئة الجماهيرية، إلى جانب الإصرار على الثبات والاستمرارية لتحقيق الأهداف

المرحلية أو الاستراتيجية أو النهائية - مع العلم بأن الأمر قد يستغرق وقتاً ويتطلب صبراً. لذا لا بدَّ أيضاً من الأفكار الإبداعية التي تعتمد على الرمزية، وعلى تنويع أساليب النضال اللاعنفي، وعلى استخدام كافة الأسلحة في ساحة المعركة. وهنا لا بدَّ من دراسة هذه التقنيات المعروفة عبر التاريخ، ومن ابتكار أخرى مناسِبة لواقعنا، تتكيَّف مع المتغيرات وتتلاءم مع تطورات الأحداث. المهم في الأمر عدم اليأس وعدم فقدان الهمة وإحياء الأمل في القلب بأن «من سار على الدرب وصل»، وبأنه «ما ضاع حقٌّ وراءه مُطالب»، وبأن الحق سينتصر في نهاية المطاف، مهما طال الانتظار. وأعتقد في هذه المجال أننا أصبحنا خبراء في الجَلَد والتحمل والصبر والانتظار! فقد جرَّبنا عدة وسائل منذ أكثر من عامين، وانتظرنا طويلاً؛ فلماذا لا نجرب الآن هذه الوسيلة، عالمين وواثقين أنها إن لم تنفع عاجلاً في تحقيق الأهداف، فإنه لا بدَّ من انتصارها آجلاً؛ كما أننا، وإن لم نحقق كل الأهداف النهائية دفعة واحدة، سنأخذ بالقليل ونطالب بالكثير، علماً بأننا إن لم نربح كل شيء فإننا لن نخسر شيئاً: لن نخسر كرامتنا، ولن ندمِّر بيوتنا، ولن نسفك دماءنا، ولن نفقد إنسانيتنا؛ لا بل سنرفع رأسنا، ونسترجع إنسانيَّتنا، ونعيد لعدوِّنا إنسانيَّته، ونُعيدُه إلى رشده .

٦-التواصل الخارجي ..

بالرغم من سفر الكثير من الرموز وأفراد العمل الثوري إلي الخارج ومع الجهد المبذول ولكنهم مازلوا يفتقدون إلي فكرة المقاومة المبدعة وحرب اللاعنف ... والتواصل الخارجي مع جميع دول العالم وتبني فاعليات حقيقة ومؤثرة تعمل علي توعية الشعوب العالمية بالقضية المصرية و تعمل علي حدوث حراك شعبي تضامني معها يقوم بالضغط علي الحكومات العالمية للوقوف أمام ما يحدث في مصر ... فمثلا لم تقم العديد من دول العالم بسحب سفرائها أو طرد السفير المصري منها احتجاجا علي استباحة القتل و الدماء لدي النظام المصري ...

٧-الاصطفاف الثوري والوحدة الثورية

علي الرغم من توحد أهداف العديد من القوي الثورية في إسقاط حكم العسكر في مصر ولكنها تخاف من إعادة الاتحاد مرة أخري .... فوحدة الصف الآن في غاية الأهمية بعد أن ذاق الجميع الحكم المستبد الظالم للعسكر وقتله لكافة الأطياف والفصائل ...

لا بد من صناعة صورة إعلامية عالمية جديدة ومبتكرة وجذابة

٨-وسائل الإعلام ...

إذا اعتبرنا أن وسائل الإعلام الحديثة هي القوة الرابعة في العالم، إن لم تكن الأولى، وإذا أخذنا بالحسبان أنها وصلت إلى درجة عالية من الدقة والسرعة والفعالية، بحيث تصل إلى كل

الشعوب، في كل أقطار العالم وفي الجهات الأربعة من الكرة الأرضية، فإنه يجب استخدامها بذكاء وحنكة.

إن هذا العنصر مهم جداً لأسباب عديدة: فصورتنا الحالية مشوهة للأسف الشديد؛ فعلى الرغم من النضال البطولي فإننا نوصف بالإرهاب؛ وعلى الرغم من عدالة قضيتنا فإن العالم لا يفهمها، لا بل لديه فكرة مغلوطة مقلوبة عنها؛ وعلي الرغم من وجود بعض القنوات المساندة لقضيتنا ضد الانقلاب العسكري ولكنها لم تصل الي درجة التنافس مع القنوات المساندة للانقلاب العسكري ؛ وبالتالي فإنها مجردة من الموضوعية لا بل تمتاز بالتحيُّز الصارخ ولا تتحدث إلي عقل المواطن البسيط بل فقط إلي عقل مؤيدي الشرعية .

لا أقول هذا من باب الدعاوة والإعلان، ولا من باب تجميل الصورة أو تقديمها بطريقة مصطنعة، فلا بدَّ من خلق الصورة الجديدة المبتكَرة المبدعة، آخذين بعين الاعتبار أن الإعلام هو فن الإثارة والتنويع لتأمين عنصر الجذب.

لذا لا بدَّ من تجنب التكرار والروتين. إن العالم يتعود على كل شيء - حتى على الحرب والموت - وكل شيء يصير طبيعياً بالتكرار. فقد ملَّ صور القتلي في المظاهرات، وملَّ صور اعتقال البنات والنساء، وبات يمتعض من العمليات النوعية التي تمارسها فئة معينة من الثوار... إن معركتنا معركة إعلامية بقدر ما هي معركة سياسية وشعبية؛ فلا بد من مكتب إعلامي وكفاءات متخصِّصة، بالإضافة إلى الأموال والتقنية الحديثة.

هذه المقومات الضرورية بعضها متوفر والأكثرية غير متوفرة - للأسف - في الوقت الحاضر. ولكن من الأفضل أن نبدأ الخطوة الأولى قبل فوات الأوان، لأن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة.

قلم وميدان

فكر ثورة ... ثورة فكر

أدب الثورة

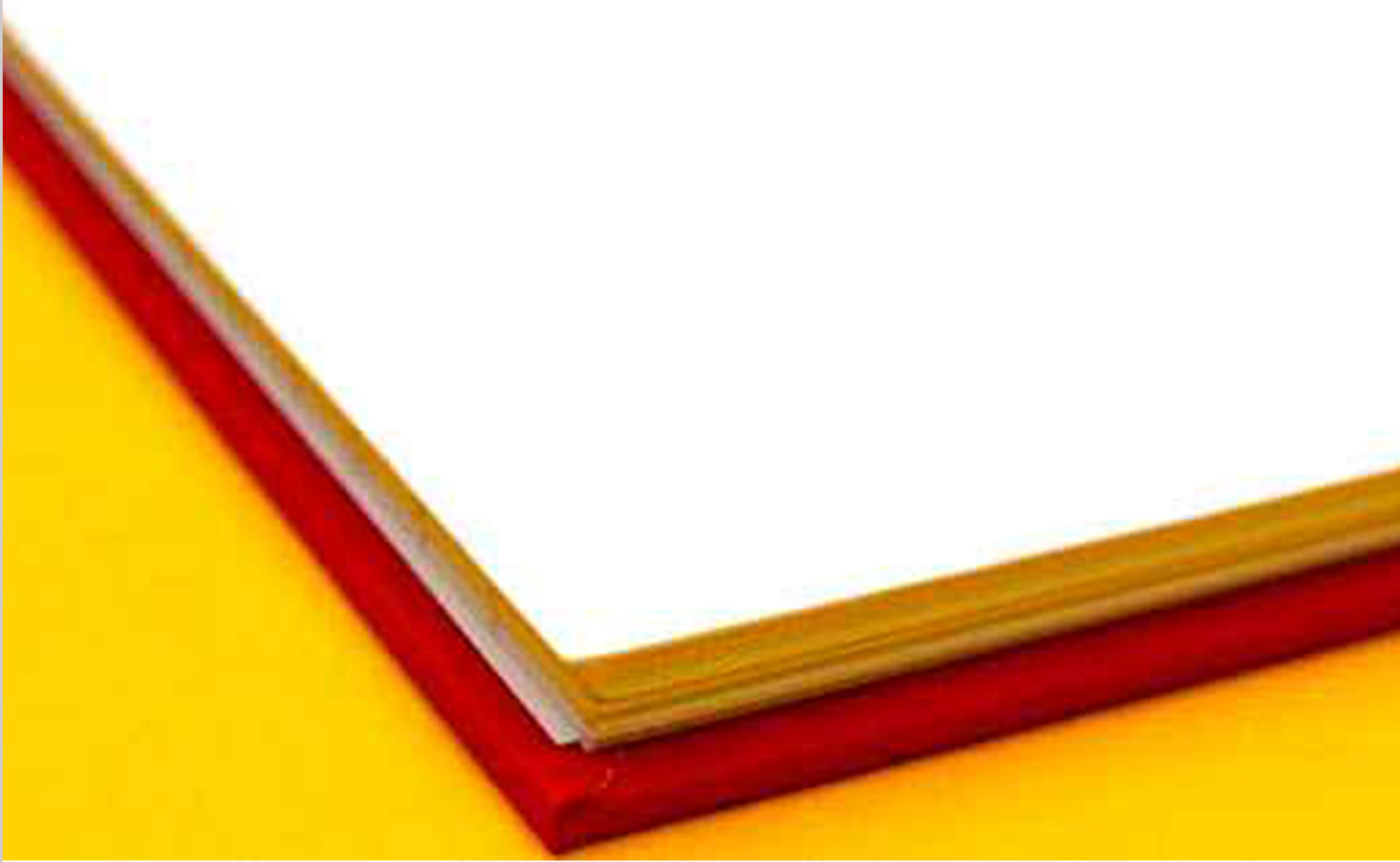

٨ أسباب تدعو الأدباء للكتابة عن حقوق الإنسان

لا مراء أن للأدب تأثيره الكبير على الشعوب؛ حيث يحملهم على اتخاذ خطوات إيجابية في الحياة؛ وبعد أن شهدت مصر في الآونة الأخيرة ما لم تشهده من قبل في عصرها الحديث من انتهاكات يندى لها الجبين؛ ما بين قتل وتصفيات واغتيالات ومذابح، وإخفاء قسري واعتقال ومحاكمات جائرة، كل هذا لا بد أن يقوم الأديب حياله بدور هام..

ويمكننا هنا أن نعدد أسبابا مختلفة تحمل الأديب على الانفعال وتوثيق ما يحدث بقلمه، فهو مدعو لهذا لظروف تتعلق بالمجال الأدبي نفسه، كما أنه مدعو إليه بما يفرضه عليه الواقع من مادة خصبة.. وذلك كما يلي:

وظائف متعلقة بالأدب والأديب

١-بداية فإذا كان الأدب «تعبيرا إنسانيا»؛ ومن ثم فلن تجد الإنسانية مثل هذا الوجدان شديد الألم لتشفق عليه وتتحدث وتكتب عنه..

٢-من وظائف الأدب أيضا أنه «يوثق تاريخ المجتمع..ويعبر عن حالة عصره»..وهذا ليس حكرا على مرحلة زمنية معينة، ولكنها كانت دوما وظيفة هامة قام بها الأدب حتى ودون أن يستهدفها، وفي التاريخ العربي، فقد تم تصنيف العصور الأدبية طبقا للظروف

والأوضاع السياسية، فكان العصر الجاهلي، ثم الأموي والعباسي..والتاريخ الحديث يزخر بالعديد من نماذج أدب مقاومة الطغيان..ومن ثم صار هذا من أهم مداخل رسم العلاقة بين الأدب والمجتمع..

٣-«يكشف الأدب طرائق الاستبداد..» وذلك من حيث كون الأدب فكرا، ومعرفة، وجمالا..؛ ومن جانبه يقول «أمين تعيلب» في مقدمة كتاب «الأدب ومقاومة الطغيان» للناقد «حسين عيد» إن: [قوة المجاز تكمن في كونها مقاومة جمالية ومعرفية، تفتتح أسئلة معرفية وثقافية ومنهجية جديدة بشأن تعرية جذور الاستبداد لا طرائقه فقط، أي تكشف عن الجانب اللاشعوري لمنطق الفكر نفسه]..أي أن الأدب هنا يعمل على رصد هذا الخلل في مداخل التفكير الذي يؤدي إلى حدوث الاستبداد ولا يتوقف عند حدود نقل المآسي والتعبير عن الجراح فحسب.

٤-في السياق نفسه يخرج الأدب بالإنسان من الكينونة المفردة إلى «الذات الجمعية» فالأديب حين يمسك قلمه فهو بالأساس يفر من أسر الانعزالية..والانكفاء على الذات، ويقوم بعمل تواصل مجتمعي يهدف به أن تصل كلماته إلى غيره، ومن ثم فهو أفضل من يكترث بهموم غيره ومن ثم ينقل عنها..

٥-أيضا الأديب في أغلب أحواله هو ذات «باحث عن المثال» ترجوه في العالم الوجداني الذي تبنيه على الورق، ومن ثم فهذا الوجدان الجمالي ذو النزعة الرومانسية من الطبيعي أن يؤرقه الجور والظلم فينفعل به ويتكب عنه..

وظائف متعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان

إذا تطرقنا بعد ذلك للحديث عن طبيعة انتهاكات حقوق الإنسان، وما يمكن أن تشتمل عليه من مقومات تصلح للبناء الأدبي، نجد أن عناصرها ثرية لتضمنها ما يلي:

١-من حيث «القوي الفاعلة» نجد أن الانتهاكات الحقوقية لها أكثر من جانب رؤية حيث تتعدد فيها الشخصيات والأبطال التي يصلح التناول والحكي الأدبي من جانبها..فهناك على الأقل جانبان للضحايا وهما الشخص الذي وقع عليه الانتهاك سواء كان (قتل-تعذيب-اخفاء قسري- اعتقال)، وهناك في نفس الجانب أسرة أو وذوو هذا الشخص المجني عليه..وعلي الجانب الآخر نجد الجاني

تتعدد فيه شخصيات (النظام الانقلابي ومن يمثله، وكذلك الشخص المباشر أو الجندي القائم بعملية الانتهاك)..وهذه جميعها زوايا في التحليل النفسي والسلوكي والوجداني ينفعل بها الأديب وينبري للكتابة من خلالها..

٢-تعدد «مسارح الأحداث»..وهيالأمكان التي تبني أشكالا درامية وتصنع بيئة ثرية ومن ذلك مثلا: (اماكن التعذيب-السجون السرية-أماكن الاعتقال-أروقة وساحات المحاكم وإجراء التحقيقات وتقديم البلاغات وتنظيم الفعاليات والاحتجاجات)..وهي جميعا وخاصة بعد أن يستمع الأديب للضحايا سيجد فيها متسعا يساعده في التخيل والوصف والتعبير..

٣-«عنصر التحولات الزمنية أو تطورات الأحداث»..فلا بد هنا أن نجد ثلاثة أزمنة على الأقل (قبل الانتهاك-أثناء الانتهاك-بعد الانتهاك)..وكل حال في هذا لا يتشابه عن غيره، بل البعض ربما يكون نقيضا لغيره، وهي جميعها لها دلالاتها في تحول الصراع وتناميه ومن ثم نهايته..

ويمكن في نهاية هذا التطواف السريع حول الوظائف الأدبية وما يمكن أن تجده في عالم انتهاكات حقوق الإنسان من بيئة ثرية للكتابة والتعبير والوصف، أن نقوم بتدشين مشروعا مشتركا حول التعبير الإنساني عن الواقع المصري المعاصر، وهو مشروع له ثلاثة عناصر رئيسة:

١-المشاركة في كتابة تأريخ للفترة الحرجة التي تمر بها الأمة المصرية، وهو تأريخ إنساني ووجداني بشكل عام، وليس فقط رصدا للوقائع وتدوين بيان عنها..

٢-تناول قضايا حقوق الإنسان بأقلام مرهفة المشاعر بعيدة عن جفاف لغة الأرقام والبيانات، ولكن بأقلام تبحث بشكل أهم عن الإنسان..

٣-التناول النقدي للمرحلة، ومحاول استخلاص النظريات الأدبية والمنطلقات التجريدية والتي تتماس على البيئة وتعبر عنها..

سيناءُ جرحٌ لا يطيب

الشاعر: إبراهيم الديب

الشمسُ تغلي فَوق
كثبان الرمـالِ المُنهَـكه
وتراقب الطير الجريح وزحفَه
نحو صغــارٍ عالقه
في نار صـاروخٍ تَفَجّـر
في سلامٍ أحـرقَه
قد حـاصرتـهُ قـاذفاتٌ
بين سِنـدانٍ وطَرق المِطرَقه
سيناءُ جُـرحٌ نازفٌ ومجازفٌ
يبكي رماد المَـحرَقَه
وسحابُ خيرٍ لا يَكَلُّ من البكاء
على صغــيرٍ قد بَقى
بين الرُكامِ يُزيح دمع
الاحتضار برقةٍ عن أمهِ
والأم تنظُر مُطرِقَـه
وأبوه يجثو فوقها
حتى يُلاقي خوفها
وأزيزِ موتٍ سابَقه
وأخيه تكسوه الدماء
إلى السماء ونورها لم يُـربِكَه
الورد يوماً سوف يَنبُت هاهنا
والتينُ لن يصمُت طويلاً
ذات صُبحٍ
سوف يُردي كل ذئبٍ أهلكَه

قفص العصافير

القاصة والشاعرة : شافية محمود معروف

ا نتهى لتوه من حلقة تحفيظ القرآن،توجه مباشرة إلى محل لبيع طيور الزينة، لم يجادل البائع كثيراً في ثمن العصافير الملوّنة التي ابتاعها منه، حمل القفص وخرج سعيداً، تخيل ردة فعل ابنه مجاهد عندما يدخل عليه حاملاً هديته، توقع أن يصرخ من شدة الفرح، وتوقع أيضاً أن يمطره بوابل من القبلات وشيئاً من العتاب: أخيراً يا والدى.... وسيرد عليه : انتظرتُ حتى يسّر الله ثمنها، وحتى صرت تستحقها يابني، فقد أحسنت في أداء اختبارات التحصيل المدرسي..

لم يختلف هذا السيناريو المتخيل عما حدث في الواقع سوى أن مجاهد رحب أولاً بالعصافير، ثم التفت شاكراً أباهُ على الهديةِ التي طالما ألحّ في طلبها زمناً.

علق والدُه القفصَ في الشرفةِ، وعلمه كيف يعتنى بالعصافير، ظل مجاهد بجوارِها حتى توقفت عصافيره عن الإنشاد حينما أتى المساء، فدلف هو إلى فراشه وغطّ في نوم آمن قرير..

قبل الشروق لم تجد أمه مشقة في إيقاظه، فقد تكفلت بذلك العصافير، ولم تحتج إلى الإلحاح عليه في ضرورة الإنتهاء من طعامه، فقد كان يأكل بآلية من لا يشعر بأنه يفعل شيئاً، ذلك لشدة تركيزه متأملاً في سلوكيات العصافير المدهشة.. وفى المساء نامت العصافير ونام هو ولفّ السكون منزل أبي مجاهد.

قبيل الفجر استيقظ الجميع على طرقات قوية تحولت إلى ركلات عنيفة، اقتلعت باب المنزل قبل أن تُكمل أم مجاهد ستر نفسها بخمار حتى يتسنى لزوجها أن يفتح الباب لزائري الفجر.

تفاجأت الأسرة بقوة مدججة بالسلاح تنتشر في أنحاء البيت، وتقلبه رأساً على عقب، قلبوا فُرش السرائر بالأطفال المتشبثين بها، المنكمشين على أنفسهم من هول الموقف وعواصف الرعب القاتل، ولم يتركوا شيئاً في مكانه إلا فتشوه أو كسروه أو سرقوه.

صرخت أم مجاهد في الذين اقتحموا عليهم دارهم مذكرة بحرمة البيوت، منددة بجريمة ترويع الأطفال، نهرها أحدهم، ودفعها الثاني، وهددها الثالث إن لم تصمت فسوف يأخذونها مع زوجها.. فتذكرت أنهم لا يتورعون عن فعل كل شنيعة فصمتت.. وضعوا القيود في

الأب وأخذوه، نظرت من الشرفة فهالها ازدحام الشارع بطابور من عربات الجيب وشاحنات الجنود والعربات المصفحة، رأت زوجها كصيد ثمين يدفعونه مقيداً من الخلف بملابس النوم فيدخلونه إحداها ويبتعد الموكب..

تجاهد البكاء وتكتم صرخة كادت أن تفلت حتى لا يلحظ الأطفال ضعفها فيدركون خطورة الحدث، أدهشها أن أطفالها لا يبكون، رغم أن علامات الرعب الممزوج بالألم والدهشة تكاد تنسف ملامحهم الأصلية، هدّأت من روعهم وطمأنتهم، أن والدهم رجل شريف لم يذنب ولم يؤذِ أحداً، وأنه سرعان ماسيخرج إليهم معافى بإذن الله، احتاجت إلى مجهود كبير حتى تقنعهم أن الشرطة في مصر تحبس الشرفاء وتترك المجرمين!!

سألها مجاهد هل العصافير شرفاء أم مجرمون يا أمي؟ قالت الأم: العصافير مخلوقات لا تعرف ارتكاب الذنوب، فكر مجاهد ملياً، أطرق رأسه وسالت دموعه في صمت.....

ارتاحت الأم لأن مجاهد بكى أخيراً، أخذته إلى قفص العصافير التي اشتد إيقاع زقزقتها ليهتم بها، ولكنه كان عازفاً عن ذلك فتولت هي المهمة، بينما ظل مجاهد في فراشه يبكي تارة، ويثور على أخته بلا سبب تارة أخرى، والأم في كمدٍ عظيم لا تكفّ عن ترديد حسبنا الله ونعم الوكيل.

مرت أيام عدة قبل أن يخبرهم المحامي بأنه حصل لهم على تصريح بزيارة أسيرهم، أعدت أم مجاهد ما تيسر من الملابس البيضاء، والطعام الذي يكفي زوجها ومن معه في الزنزانة، اصطحبها أخوها وأخو زوجها والأولاد في أشقِ رحلةٍ ممكن القيام بها، بدأت في الفجر وانتهت في فجر اليوم التالي لطول السفر وتباطؤ القائمين على أمر السجن في إجراءات الزيارة.

لم تحظ الأسرة خلالها سوى بعشرين دقيقة هي كل مدة المقابلة، تلاقت فيها الأرواح والأبدان وتبادلوا عبارات الطمأنة والحسبان، وسُرت الأسرة لما رأت من النور الذي كان يشع من وجه أبي جهاد مما دل على تمتعه وصحبه بمعية الله والله أعلم...

...عندما عادوا وقبل أن يبدل مجاهد ملابسه، عمد إلى قفص العصافير ففتحه، وظل يتأمل العصافير الجميلة وهو يطلقها في سماء الله الواسعة.

قلم وميدان

فكر ثورة ■■ ثورة فكر

حكاية من قلب الحدث

قصص من دفتر جريمة «الإخفاء القسري»...

كتب: رضا حسن

تزايدت في الآونة الأخيرة جريمة الإخفاء القسري بحق المواطنين من قبل النظام الانقلابي؛ حيث أكدت لغة الأرقام فيما تم توثيقه فقط لعام ٢٠١٥ تعرض ١٨٤٠ مواطنا لتجربة الإخفاء القسري؛ فيما بلغت عدد الحالات التي ظهرت منها ١٢٣٨، حيث تراوحت مدد إخفائها ما بين ٤٨ ساعة إلى ١٥٠ يوما، في حين هناك ٣٦٦ حالة لم تظهر، و٢٣٦ لم يتم الوصول لوضعها إلى الآن.

والحقيقية أن من يقترب من تلك الظاهرة، وهذه الجريمة، يرى نفسه مضطرا إلى الولوج إلى ما هو أعمق من مجرد الأرقام، فخلف كل حالة إخفاء أسرة محطمة، تلهث خلف أحد أفرادها بحثا عنه في أروقة السجون والمعتقلات وأماكن الاحتجاز السرية.

تحاول تلك السطور أن تقترب من حقيقة المعاناة، وما تتركه من أثر على أفراد الأسرة جميعهم..

•رسائل تهديد وطلبات فدية

تحكي أولى القصص «سارة محمد» نجلة الطبيب المختفي قسريًا «محمد السيد محمد إسماعيل»، فهي حالة إنسانية خطها ألمُ فراق والدهم بعد حادثة اختطاف يندى لها جبين الكرامة، في بلد يتغنى بأحلام الحق في الحياة واحترام آدمية البشر، ومن المؤلم أن هذه الحالة نموذجٌ للعديد من الحالات الأخرى بأحداث مأساوية.. بأماكن مختلفة ومشاهد مؤلمة...

تقول «سارة»: «عيد ميلاد أبي شهر مايو المقبل حيث الاحتفال بعامه التاسع والخمسين من عطائه ورعايته لنا، أبي حنون جدا وطيب القلب وكان يعاملنا بكل حب وكان لا يعرف إلا الأدب الراقي، وكان الروح والبلسم الشافي لكل جروحاتنا، وكان الوعاء الحامي لنا من غدرات الحياة.. كنت أود أن أحتفل معه وأفرح معه، كما يفرح الابن بأبيه ويفخر به».

تتابع «سارة» عن يوم الاختطاف: «يومها كان والدي في عيادته حيث يعمل طبيب جراح واستشاري الجراحة العامة والأورام والحروق ومدير مستشفىالقنايات المركزي، اتصلت به أستنجد به فعندما ألمّ بوالدتي تعب شديد، جاء مسرعًا وأحضر معه بعض الأدوية، وكانت الساعة وصلت الحادية عشرة مساء، ترقبنا وصوله.. فإذا بنا نفزع لدوي طلقات نارية أسفل المنزل، نزلنا مسرعين وأمي تصرخ من الألم وهو يصرخ فيهم دعوني أنقذ زوجتي».

تضيف: «كانوا مجموعة من الرجال الملثمين، ضخام الجثة يرتدون ملابس سوداء، مسلحين بأسلحة نارية، خطفوا والدي تحت تهديد السلاح وأخذوه في السيارة ورحلوا، لا أتذكر من ذلك اليوم إلا ونحن نجري خلف السيارة مسرعين ننادي على أبي ولا نفهم ما يحدث».

«جاءت الشرطة بعد الواقعة بثلث الساعة ورفضت عمل محضر بالواقعة، وتركت مكان الواقعة وذهبت للعيادة لتعبث بأوراق أبي الشخصية، شهد بعض الجيران في محضر رقم ٤٠٦٢٠ وكانت رواياتهم أنه وأثناء دخول الدكتور محمد بيته هجم عليه ٤ ملثمين بعدما قاموا بإطلاق النار عليه وأخرجوه من سيارته الملاكي ووضعوه في سيارتهم وهددوا أن أي شخص سيتدخل سيموت».

تقول «سارة»: «كان هذا يوم ٢٤ / ٨ / ٢٠١٣، لم أفقد الأمل أو أتوقف عن تعقب آثار والدي، فقدمت بلاغا رسميا إلى السيد اللواء/ رئيس جهاز الأمن الوطني، أستغيث به للبحث والتحري عن والدي المختطف ولا نعلم عنه

أي شيء ولا نعلم مكان احتجازه، كي يتسنى لنا زيارته والاطمئنان عليه، طبقا لما يكفله لنا الدستور والقانون، أيضا قدمت أسرتي عدة شكاوى للنائب العام ومجلس الوزراء ووزير الداخلية ووزير العدل ونقابة الأطباء ومدير أمن الشرقية، إلا أن الجميع لم يحرك ساكنا».. «جاءتنا اتصالات تهديد تقول: (هناخد حق السنة الليمسكتوا فيها البلد، والدكم كان عضو بلجنة الإغاثة ماشيهنشوف ونوريكم)، بعضهم طلب فدية ستة ملايين جنيه وهكذا.. إلى أن انقطعت الاتصالات».. «والدي لديه ظروفه الصحية الخاصة جدا مع العلم أن سنّه هذا لا يحتمل ما يحدث له».

تؤكد «سارة»: «لم نتمكن من الوصول لمكان والدي سوى أنه في مكان «أمني» شديد، ثم وصلتنا أخبار أنهبسجن العازولي، لا يتخيل أحد مدى معاناة أسرتنا عندما تتسرب إلينا هذه الأخبار، خاصة بعد قصص يرويها أناس خرجوا من هذا المكان أنهم فعلا رأوا الموت بأعينهم».

وتختتم «سارة»: «لم أر أبي منذ أن اختطفوه، ولا أبالغ إن قلت إن الحياة توقفت عندنا وأصبحت حكرا على النيابات وأقسام الشرطة لمتابعة الأمر وعمل بلاغات للنائب العام والتواصل مع أي مصدر أمني بحثا عن شعاع للاطمئنان، والدي هو رب الأسرة يعولني أنا وإخوتي الست، يحبه الناس وله رصيد اجتماعي كبير لحسن خلقه وسمعته وتقديمه العون والمساعدة لمن يحتاج، وعمل عضوًا بلجنة الإغاثة بنقابة الأطباء العامة بالقاهرة، وله باع كبير في العمل الخيري والمجتمعي، أنا وأسرتي نعيش أقسى درجات اليتم وأبي على قيد الحياة، سوف يُتم التاسعة والخمسين عامًا في شهر مايو القادم فيكون مر ثلاث سنوات وهو ليس معنا ولا نراه، فقط يجول كطيف جميل بمخيلتنا، فهو الحياة بالنسبة لنا بكل معنى الكلمة، لا أستطيع إلا أن أقول أعيدوا لي ولأسرتي حياتنا، رسالتي بسيطة... ولكنها صعبة على من يختطف والدي.. أنا وأسرتي نريد والدي».

•«عمرو إبراهيم»..الشاب الخلوق..

وفي قصة أخرى يحكي المحامي «إبراهيم عبدالمنعم متولي» فيقول: «أبحث عن ابني الشاب عمرو ذي الأربعة وعشرين ربيعًا، كان معروفا بالحكمة في تصرفاته ما جعل أصحابه ينادونه بالبطل عمرو؛ليس لأنه كان شخصا خارق القدرات، ولكن لأنه كان رجلا في المواقف حكيما في تصرفاته، محبّا لأصحابه وجيرانه وكان الأطفال يتعلقون به لحسن معاملته وبسمته التي لا تفارقه».

عندما كنت أكتبت له كنت أقول: «إلى البطل عمرو... كنت أوصيه أن يكون شجاعًا وأن يقول كلمة الحق دائما وألا يخشى في الله لومة لائم، فحفظ كتاب الله وحصل على إجازة في رواية حفص عن عاصم»..

«خرج عمرو إبراهيم باحثا عن شقيقه بشارع الطيران بالقاهرة صبيحة يوم الاثنين ٨ يوليو ٢٠١٣عقب أحداث الحرس الجمهوري، ثم انقطع

الاتصال به صباح ذلك اليوم، ظننت أنه تم القبض عليه ضمن المعتقلين عقب الأحداث، إلا أنني لم أجده ضمن المعروضين على النيابة العامة فزاد قلقي».

يتابع «متولي»: «عندما بحثت عنه بين المصابين والشهداء والمجهولين لم أجده، توجهت ببلاغي للنائب العام ولنيابة مصر الجديدة لكن لا أثر، أخبرني أحد أصدقائه -و كان قُبِض عليه أربعة أيام في مكان سري- أخبرني أنه التقى بعمرو»..!!

«مرت الأيام سريعًا ولم يطمئن قلبي برؤيته أو سماع صوته أو حتى بمعرفة مكانه، حتى وصلني الخبر أن عمرو ضمن مجموعة في سجن وادي النطرون، محظور زيارتهم أو الاتصال بهم فلم نتمكن من زيارته، وعندما وكلت أحد المحامين للبحث عنه، أخبرني أنه لم يعد في سجن وادي النطرون ولن تستطيع أن تعرف مكانه أو أن تزوره».

«كنت أحيانا أقول أأنا في كابوس أم في حقيقة، كل ذلك والأيام تجري دون لقاء، ثم جاءت الأخبار أنه تم نقله إلى سجن العزولي، وما أدراكم ما العزولي!! سجن سيئ السمعة من دخله مفقود والخارج منه مولود، تتوارد بعض الأخبار عما يدور به من تعذيب، يصل بالمحبوس إلى حد تمني الموت من شدة ما يلقاه، كنت أُخفي ذلك عن أمه مثلما كنت أخفيت عنها خبر غيابه لمّا لم أجده من شدة لهفتها على ولدها الذي تحبه، حيث كان أكثر إخوته برًا وإحسانًا لها، ويا لهول الألم الذي ينزل بها عندما تعلم من بعض أسر المختفين أن مجموعة من المختفين قد تم قتلهم للتخلص منهم وتصوير جثثهم على أنهم إرهابيون».!!

يضيف «متولي:» والدة «عمرو» تحب أن تراه في الرؤيا لتطمئن عليه وتعرف حاله، أحيانا يأتيها في صورة حسنة، ومرات شاحب اللون ضعيف البنية، وإذا غاب سألتني ألم يأتك عمرو في الرؤيا؟ لقد غاب عني ولدي، إنه قلب الأم الذي ينفطر لغياب ولدها، ولا يفتر عن الدعاء على من حبسه عنها، فقد اقتربت مدة الغياب من الثلاث سنوات»...

يختتم «متولي»: «نحن على أمل أن يعود عمرو، مثلما عاد يوسف وأخوه إلى أبيهم يعقوب-عليه السلام-، ليس هو يوسف ولست أنا يعقوب ولكنا نتأسّى بهم وأظن أن الله لن يضيعنا، وأدعو الله أن يعود عمرو وأرجوه أن أكون أنا وأمه على قيد الحياة إشفاقًا عليه».

المهندس عمرو نجل الأستاذ «إبراهيم» كان أحد الشباب المنتظر أن يحملوا عبء بناء هذه البلد ودفع مصانعها للعمل وتطوير

إنتاجياتها، لكن أن تراه بدلا من ذلك مختفيًا عن أهله قسرًا، محروم من رؤيتهم ومحرومون منه؛ حينها تأسف على بلد يفرط في شبابه دون اعتبار....

•زوجة لم تفقد الأمل

وفي حكاية أخرى تقول»حنان بدر الدين»: زوجي هو «خالد محمد حافظ عز الدين» -محاسب وصاحب مكتب للدعاية والاعلان- عمره أربعة وأربعين عاما، أصيب بطلق ناري من قناص فوق المدينة الجامعية للأزهر، وهو في شارع مصطفى النحاس في أحداث المنصة يوم٢٧-٧-٢٠١٣.

حمله اثنان للمستشفى الميداني في ميدان رابعة العدوية ليتم إسعافه،لأراه على شاشة التلفاز في الجزيرة مباشر مصر، اتصلت على هاتفه فرد أحدهم وأكد لي ما رأيته، صُدمت صدمة بالغة وتعطلت حواسي عن التفكير حوالى النصف ساعة، وحينما تمالكت نفسي كان «خالد» قد خرج في سيارة إسعاف متوجها للتأمين الصحي،ثم حدثت الكارثة الأعظم من إصابته فخُطِفَ من السيارة أو من المستشفى، وبعد غيابة بثلاثة أيام أخبرني البعض أنه رأى اسمه في قسم الخليفة، وبعدها أخبرنا أحدهم أنه رُحِلَ إلى مستشفى سجن طره وتأكدت لنا المعلومة، وتجهزنا للزيارة وحينما ذهبنا أنكروه، إلا أننا تأكدنا بعدها من مصادر أمنية أنه كان بالداخل فعلًا، إلى أن رُحِّل بعدها إلى العازولي وعلمت أنه هناك من بعض المعتقلين.

كنا نتلمّس النور في رحلة البحث عن زوجي، وكانت رحلة البحث تعطينا بريقًا من الأمل كانت الرحلة أجمل ما في المرحلة إذا صح التعبير، فكانت تجعلنا نرى حقائق مهما حُكيت لنا لم نكن لنصدقها..

كان مكانه سجن العازولي إلى آخر مايو٢٠١٤، بعدها تم نقله لمكان آخر أكثر سرية قد يكون في معسكر الجلاء أو خارجه، ومنذ حينها لم تصل لنا أية معلومة عنه.

الحال لا يوصف -والحمد لله-فالحياة توقفت، والقلق بالغ على حاله ووضعه في السجون اللعينة التي نسمع عنها، وها نحن نتقلب بين اليأس والأمل... وتمر الحياة.

•اختطاف عريس وتهديد زوجته

من جانبها»سلمى عادل» تقول: زوجي «أحمد محمد محمدمحمد غنيم» يبلغ من العمر ٢٧عامًا، يعمل محاسبا، لم يمض على زواجنا سبعة أشهر حتى كنا بصحبته أنا ووالدتي في مستشفى الثغر بالإسكندرية حيث كان يجري بعض الأشعة يوم ٢٥ فبراير٢٠١٥، في شارع الجلاء بفكتوريا بالإسكندرية قسم منتزه

أول، وعندما كنا نستلم نتيجة الفحص فاجأنا مجموعة من الضباط وأحاطوا بنا وأنزلونا من المستشفومنها إلى قسم الشرطة.

وهناك قاموا بالاعتداء على أحمد ضربًا وأدخلوني أنا ووالدتي مكتب الضابط، وبعد ثلاث ساعات دخل رئيس مباحث قسم المنتزه محمد عزب ليقول لي: «هيدخل عليكِ أحمد دلوقتي...» وأملاني كلاما لأقوله لأحمد وخلال كل هذا كنت أتعرض لإهانات لفظية، وبعد أن جلست مع زوجيلثوانٍ أخذوا أحمد وأغلقوا علينا الباب وظل أمين شرطه معنا بالمكتب.

بكيت بشدة وأخذت أسأل عنه ولا يجيبني أحد، وحينما رفعت صوتي دخل لي ضابط أوسعني للأسف ألفاظا وتهديدات، وبعدها رُحِّل أحمد من القسم، وظللت أنا ووالدتي المسنة معتقلات ثلاثة أيام في القسم في معاملة سيئة جدا، بلا طعاموشراب،وفي اليوم الذى خرجنا فيه أدخلوني عند رئيس المباحث هددني أني لن أرى زوجي ثانية وأنه من الأفضل لي الطلاق، وأنهم قد يساعدوني إذا قلت لهم معلومات أو شهدت عليه، قالوا لي «لا تبحثي عنه لأنه هيتبخّر» .!!

ومنذ حينها وأنا أقوم بعمل تلغرافات ومحاضر بأقوالي وأقوال والدتي، ولكن ما من مجيب.. وبشكل مفاجئ، تم إدراج اسم زوجي في قضيه عسكرية ملفقة،فخاطبنا المحكمة أكثر من مرة لتخطرنا بمكانه، وللأسف لم نصل إلى نتيجة حتى الآن..

أمه التي كان بارًا ومهتمًا بها جدًا، أمرضها غيابه مرضًا شديدا وتدهورت صحتها للغاية وكل أملها أن ترى ابنها يومًا ما، كنت آمل بزواجي الذي ليمضِ عليه حينها سوى أقل من سبعة أشهر أن نبني بيتًا من السعادة والعمل الدءوب لبناء مستقبل باهر لأبنائنا... لكن قدر الله غالب.

• «إسماعيل محمد».. رحلة بحث

بعد القبض على أحمد غنيم يوم ٢٥ فبراير٢٠١٥ وتهديده بزوجته ووالدتها لمعرفة مكان إسماعيل، وبالفعل تم القبض على إسماعيل في ذات اليوم، بعدها بيومين فذهبت شقيقته ووالدته إلى مديرية أمن الإسكندرية فعرفوا أنه موجود فعلا بالدور الرابع، ومن بعدها حتى يوم١٢ مايو لم يعرفوا عنه شيئا.

«إسماعيل محمد فتح» مواليد ١٩٧٩، مهندس وصاحب شركة كانت حلم حياته، افتتحها في

٢٠١٤، لكنها للأسف أُغلقت بعد القبض عليه. تقول زوجته «داليا شعبان» : «جاءنا تليفون أنه في مدرية الأمن بكفر الشيخ، وبدأت التليفونات تتوالى علينا حتى منتصف شهر يونيو بأنهم تركوا كفر الشيخ، ورُحِّلوا لمكان غير معلوم،وتعرضنا لتهديدات كثيرة كي لا نبحث عنه، وفي شهر نوفمبر قال لنا بعض الشهود بأنهم في مديرية أمن أبيس بالإسكندرية.

إسماعيل أب لطفلين محمد ٧سنوات ومالك ٤سنوات، يعول أسرته لأنه هو الرجل الوحيد بعد وفاةشقيقه ووالده..

والدته مسنة لا يتردد على لسانها سوى رغبتها في أن ترى ابنها وتطمئن عليه، وله أختان وهو من يعولهما، طفلاه دائما السؤال عليه ولا أخبرهما إلا أنه مسافر، وكثيرا ما يشكو لي «محمد» افتقاده لأبيه وأنه يريده، يقول لي: «نفسي بابا ييجي من السفر أو نروحله نقعد معاه».

دائما ما يقول لي «عايز بابا يرجع عشان يوديني الحضانة زي ما كان بيوديني...
أخبرونا أن اسم «أحمد غنيم» و«إسماعيل محمد» مدرجان في قضية عسكرية رقم ٦٨، بتهم ملفقة بحرق مقرات وسيارات وأقسام للشرطة وبعض المحاكم، شهود الإثبات التي استعانت بهم المحكمةأنكروا القبض على أحمد وإسماعيل.

تختتم «داليا»..فقط كل ما أتمناه أن أعرف مكان زوجي، وأطمئن عليه، والدته وولداه يتقطعون شوقا وقلقا عليه..

•رحلة بحث عن «عبد الحميد» مستمرة

تقول أم عبدالحميد: «ابني عبد الحميد محمد محمد عبد السلام» كان معتصما في ميدان رابعة، وكان في الميدان حتى الساعه السادسة مساء بشهادة زملائه الموجودين في الميدان، تم التواصل بيننا وبين عبد الحميد تليفونيًا حتى الساعة الرابعة والنصف مساء وبعد ذلك كان التليفون مغلقافحاولنا الاتصال به مرات عديدة وللأسف كان التليفون مغلقا.

بحثعنه والده في المشارح والمستشفيات الموجودة بالقاهره يوميًا وتم عمل التحليل الوراثي للجثامين المحروقة فلم يجده، بحث عنه في المعتقلات والمعسكرات، حرر محاضر عديدة للنائب العام السابق وفي وزارة الداخلية وزارة الدفاع وللحاكم العسكري ومجلس الدولة ومجلس الوزراء، ولكن بدون أي فائدة.

سجل صرخته في المؤتمرات وعلى القنوات بحث في كل الاتجاهات، أنهكه كثرة السفر وأنهكه المرض وكثرت عليه الهموم لفقدان ابنه الوحيد، وغمه حاله وانحسر لغياب ابنه، فمات من كربه، وكانت لآخر لحظة في حياته ينادي على ابنه...

عبدالحميد عمره ٢٤عاما ويدرس في جامعه الأزهر كليه الشريعة والقانون بطنطا، اجتمع

على فقدان ابني الذي لا أجد له أثرا وموت زوجي كمدًا عليه فلم يبق لي من الدنيا إلا الله وهو حسبي ونعم الوكيل».

•عائشة تبحث عن والدها..

«سعيد سيد رمضان على» ٤٩ عامًا ترزي رجالي، تقول زوجته «رشا محمد»: «اتصل بي يوم فض اعتصام رابعة العدوية الساعة ٦ صباحًا وقال ليإن قوات الداخلية والجيش تحاصران الميدان من كل الاتجاهات، فطلبت منه أن ينتبه لسلامته، ومن وقتها وهاتفه مغلق.

«سعيد» يعول أربعة من الأبناء أكبرهم فاطمة في الصف الثاني الثانوي، وبعدها ضحى في الصف الثالث الإعدادي ومحمد في الصف السادس الإبتدائي وعائشة في الصف الثالث الابتدائي، كان أبا حنونا جدًا على أبنائه، وكان معروفا بسيرته الطيبة بين الجيران والناس في مكان عمله.

بدأنا رحلة البحث عنه بالتحرك من اليوم التالي للفض، وذهب شقيقه وشقيقي إلى مسجد الإيمان، وبحثا بين الشهداء ولكن لم نجده بينهم، وذهبت بنفسي إلى المستشفيات والمشارح.

ذهب شقيقه وحرر محضرا في قسم الشرطة بأنه مختفٍ وسأل في جميع الأقسام في محيط مدينة نصر وخارجها ومديريات الأمن بالقاهرة والجيزة وفي أمن الدولة، وحررنا شكاوى للنائب العام ورفعنا قضية في مجلس الدولة وأحيلت إلى دائرة أخرى، لكن لا جدوى.

كان «سعيد» لا يتأخر عن مساعدة من يحتاج،وكان معروفا بخدمته للناس، بالتأكيد مشاعرنا في غاية الحزن بسبب اختفائه، والأولاد تأثروا جدا بعدم وجوده بينهم وأكثرهم محمد لأنه كان مع أبيه دائما، وكان أبوه لا يناديه إلا بـ «ياصاحبي»، فكلنا نفتقده بيننا ونتمنى عودتهإلينا سالما معافى، وأقصى ما نتخوف بعد كل هذه المدة أن يتم تصفيتهم أو أي شيء آخر.

*****

كيف تكون حياتك وأحد أهلك اختفى فلا أثر له، لا طريق تسلكه بحثا عنه ولا شكوى ترده إليك، ولا يكون هذا لمجرد أيام وتنكشف الغمة بل تستمر لسنوات، بالتأكيد إنه شيء لا يمكن تخيله ولا يقبله إنسان يعرف معنى القلق والتوتر الذي يشمل الشخص إذا فقد عزيزا، فما بالك إن اختفى فلا تعرف له طريقا.

على أبواب المعتقلات..

«قلم وميدان» ترصد همومًا وأوجاعًا يرويها أهالي المعتقلين في الزيارة

تحقيق – نور علي

في ذلك اليوم الذي يذهب فيه أهالي المعتقلين إلى ذويهم في السجون يعلمون أن ساعات الانتظار ستطول بين تفتيش وآخر حتى تنتهي بزيارة المُعتقل أو ربما لا يكلل ذلك بالنجاح، تلك الساعات الطويلة التي يمكث الأهالي فيها أمام السجن أو مكان الزيارة، تحمل تلك الأوقات ملامح عديدة للون آخر من الألم والقهر، وفي الوقت نفسه صمود تسطره الأهالي وخاصة النساء والأطفال فيكتبون به صفحات مشرقة لتلك الفترة شديدة القتامة في دفتر الوطن.

(١) من صاحب المحمول؟

في تلك الليلة شديدة البرودة، استيقظت "أم أحمد" قبل الفجر بقرابة ساعة وسط هواء لاسع تسرب من بين شرفات منزلها البسيط، لتذهب إلى ما تنتظره منذ ما يزيد عن شهر، تجهز الحقائب وتربط المتاع وتحضر متطلبات الرحلة، توقظ طفليها، أحدهما في منتصف المرحلة الابتدائية والآخر في الصف الثاني الإعدادي، ألبستهما الطيب من الثوب، صلوا الفجر وبدأوا رحلتهم المنتظرة، دون زوجها الذي أقعدته الإصابة بفيروس "سي" الذي لا يُعالج بالكفتة.

حملوا على عاتقهم الحقائب، ووصلوا إلى مقصد الرحلة، وهواء القاهرة البارد يعصف بما ظهر وما

بطن من الجسد الذي ارتعش تأثرًا بسوء الطقس، ولا أمل في ظهور الشمس لتدفئة الجو.
طوابير ممتدة، وساعات انتظار طويلة، وإجراءات تفتيش مملة، إذا قد وصلت أمام السجن، حيث يمكث ابنها أحمد، منذ ما يزيد عن العام، يتحسس الحرية من خلف القضبان.

أحمد الطالب، بهندسة عين شمس، كان من بين ٢٥ شخصًا صدقوا أو أجبروا على تصديق وعود قوات الأمن المحاصرة لمسجد الفتح بـ"الخروج الآمن" فخرجوا ليلاً قبل اقتحام المسجد ظهرًا، ولم يجدوا إلا البلطجية وسيارة الترحيلات في انتظارهم لتنقلهم إلى سجن "أبو زعبل" حيث تشبّعت أجسادهم من شدة الضرب كما تحكي والدته.
بعد تلك الواقعة بقرابة شهر، يحتفل أقارب أحمد في منزل الأسرة بمولود جديد على أنغام "تسلم الأيادي"، يهللون ويرقصون ويرفعون علامات النصر، غير مبالين بدماء قلب "أم أحمد" الجريح، التي تعيش في إحدى شقق المنزل.

الضغط النفسي يشتد عليها، فلا أحد يبالي بما تشعر به، وبمرور الأيام أضحى ابنها رقمًا في تعداد المعتقلين، لا أحد من أفراد العائلة - المؤيدة للسيسي- يسأل عليه، وبعد مرور قرابة العام لم تعد تتحمل، وقررت أن تترك تلك الشقة التي تملكها لتؤجرها، وتستأجر شقة أخرى، وإن كان إيجار الشقة الجديدة أغلى من إيجار شقتها التي تملكها.
تزامن ذلك الضغط النفسي، مع اشتداد المرض الجسدي على زوجها، الذي لم يعد يستطيع المواظبة على العمل على "التاكسي" الأبيض، لتتراكم أقساط التاكسي عليه وتبلغ ما يزيد عن ٢٥٠٠جنيه، فيتواصل مع أخيه تلفونيًا فيرفض ويذهب إلى بيته، ويحاول أن يقلل المبلغ الذي يريد أن يقترضه ليصل إلى ٥٠٠ جنيه، فيكرر رفضه لأنه سيحتاج المال لحجز المصيف، ويتكرر السيناريو مع أخته لترفض لأنها "قد ساعدت ابنها على شراء قطعة أرض مؤخرًا"، ليعود الرجل بألمي النفس والبدن، ويغلق عليه بابه وتنصهر دموع القهر والألم على وجهه.

لم تقف "أم أحمد" مكتوفة الأيدي، وقررت أن تعمل، فعملت كـ"عاملة" ١٢ ساعة يوميًّا، في إحدى المستشفيات الخاصة، تنظف وتمسح وتكنس، ٦ أيام في الأسبوع، على أن تأخذ ٥٠٠ جنيه شهريًّا، نعم ٥٠٠ جنيه مرتبها الشهري، يجب أن تسد به الديون وتعالج زوجها المريض، وتسد حاجات طفليها، وتوفي متطلبات الزيارة، ناهيك عن ركوب "التوك توك" الذي قد تستغني عنه صباحًا لتترجل ما يقرب من كيلومتر، ولكنها تستقله ليلاً بـ٥ جنيهات.

أجبرها مسئولو العمل على أن تكون الإجازة الجمعة على غير رغبتها، فهي تريد أن تكون الإجازة في يوم غير الإجازة الرسمية حتى تتمكن من زيارة ابنها المعتقل فتركت مؤخرًا العمل.

"أحمد فلان الفلاني"، أخيرًا استمعت إلى اسم ابنها، لتقف في آخر طابور وآخر تفتيش قبل الزيارة، وعندما جاء دورها، أخبروها بأن "ابنها في التأديب وممنوع من الزيارة، كان

ابنها قد تعرض إلى التأديب عندما اكتشف أحد المفتشين بالسجن، جهاز محمول داخل الزنزانة وطالبهم بالإفصاح عن صاحبه، مهددًا إياهم بالاستعانة بالقوات الخاصة لضربهم حتى يفصحوا عنه، وكان صاحب المحمول رجلاً مسنًا، وقبل أن يفي المفتش بتهديده قال "أحمد" إنه صاحب المحمول.

وحبُس انفراديًا ثلاثة أيام ومُنع من الزيارة لمدة شهر، وقد جاءت أم أحمد بعد انتهاء الشهر، ولكنهم منعوه من الزيارة ١٥ يومًا أخرى، بحجة أنه كان من المفروض أن يقضي أسبوعًا كاملاً في الحبس الانفرادي، لتخرج "أم أحمد" من السجن، بعد مرور قرابة ٨ ساعات داخله، دون زيارة ابنها!

(٢) لكنه لم يجد ابنه وسط الجثث!

وفي يوم آخر، تجمهر العشرات من أهالي المعتقلين في أول طابور أمام السجن، يحملون أمتعة ذويهم المعتقلين بالداخل، يتبادلون أطراف الحديث عن قصصهم ومعاناتهم وآرائهم السياسية إبان انقلاب ٣ يوليو.

يقف رجل متوسط العمر فوق الـ٤٠ يدخن السيجارة متحدثًا عن تجربة فقدان ابنه:» ابني كان شغال هناك في مدينة نصر، وفجأة لما طوقوا الميدان وقفلوه ابني كان جوّه، ومعرفتش أوصله!»

يستكمل الأب قصته يوم فض رابعة١٤ أغسطس ٢٠١٣:»ذهبت إلى مشرحة زينهم وجدت تريلات تحمل جثث الفض، أبحث بين رؤوس وجثامين القتلى عن ابني المفقود فلم أجده، وظللت ٨ أيام متواصلة ابحث عنه في المستشفيات والأقسام والسجون حتى وجدته في هذا السجن «

(٣) زغردن فرحًا لخبر اعتقال أبنائهن

يُقاطعه الحاج رجب بحكاية ابنه الذي يدرس في السنة النهائية لكلية الدعوة وأصول الدين وتم اعتقاله وهو يراجع إجابته في أحد الامتحانات بعد الإنتهاء منها، ويتابع «رجب» فيما هو أشد وأقسى:»ابني أعطاني ١٢ رقما لأهالي زملائه كي يتم إخبارهم بأن أبنائهم معتقلون في هذا السجن».

ومن البديهي أن يتبادر إلى القارئ أن وقع ذاك الخبر سلبي على الأهالي: «بزغاريد النساء وبهجة الآباء والصمت الذي يعبر عن فرحة عجز اللسان عن التعبير عنها، استقبل أهالي الـ١٢ معتقل هذا الخبر وفقا لـ»رجب»، فالأهالي قد فقدوا أبناءهم منذ مجزرة فض رابعة، وكادت تنغلق كل السبل أمامهم في إيجاد أبنائهم، حتى جاءهم الحاج رجب بعد قرابة عام من الفض بهذا الخبر.

«الحاج رجب» الذي غطى شعره الشيب فلا تجد شعرة سوداء في رأسه، قام بزيارة للـ١٢ معتقلا، قبل ذويهم الذين تفرقوا على محافظات مصر من الإسكندرية إلى الأقصر، ويفرق أيام الأسبوع على زيارة ابنه، وخاله الذي حُكم عليه بـ١٥ سنة، وابن أخيه الذي حكم عليه بـ١٠ سنوات.

من طابور لآخر وساعات الانتظار تمر وتطول، ومعاناة الأهالي تزداد بإجراءات أخذت ما يزيد عن الـ٤ ساعات أغلبها في الشمس، ولم يبقَ على دخول الزيارة سوى خطوة أخيرة!!

(٤) وتشبثت بثياب أبيها

هناك رأيت «أسماء»، تلك الطفلة التي جاءت من إحدى قرى «حلوان» لم يتعد عمرها الـ١١ سنة، ببراءة وبساطة تلعب«أسماء» وتلهو، تجري وتمزح.. تقفز وتتزحلق على كراسي الانتظار التي حوّلتها إلى لعبة كالملاهي، وسجيتها النقية لم تفرق بين الأهالي والعساكر، ولم تفرق بين الميري والملكي، فتتردد بفستانها كالفراشة بين هذا المجند وذاك المواطن، فيبدو أن فرحتها باقتراب لحظة اللقاء مع والدها المعتقل قد غطت على كل شيء!

«مش إنت اللي ابنك اسمه حسن البنا؟ مفيش زيارة لابنك النهاردة يا حاج» هكذا رد المجند على والد حسن الذي جاء من أطفيح لزيارة ابنه ليرد:ر«أناعايز أكلم حد مسئول الكلام ده مردود عليه.. ياريت بس عشان الموضوع يتحسم بالزيارة أو من عدمها».
اقتربت من والد حسن متسائلا«إيه المشكلة» ففهمت من كلامه أنه يزور ولده يوم الخميس أسبوعيا ويمنعونه من زيارته هذا الخميس بحجة زيارة أمه له يوم السبت، بالرغم من أن زيارتها كانت استثنائية ليس عليها حساب.

بعدما انتهت الزيارة التي استمرت حوالي ٤٥ دقيقة خرج الأهالي من مكان الزيارة إلا أسماء، عندما علم «المأمور» بذلك وبّخ أم أسماء بشدة، ودخل غاضبا إلى هناك وأغلق الباب من ورائه، لتظهر علينا«أسماء» متشبثة بجسد والدها تتدلدل حافة قدميها على الأرض، تبكي.... تنتحب.. تستغيث «باااااااباااااا» تقطع آهاتها قلوب الأهالي، قبل أن يحترق عليها قلوب والديها، وتبوح عيون والدتها بدموع الحزن والقهر والألم التي فشلت في كتمانه في الفؤاد.

(٥) زوجك لا يستحق الزيارة!

وفي يوم آخر، أخيرًا وصلت الأم للسجن مُنهكة من طريق طويل مكثت فيه ساعات، حامِلة طفلها على يد واليد الأخرى تحمل متطلبات الزيارة الثقيلة لزوجها المُعتقل خلف القضبان، «أنا بركب ٦ مواصلات قبل ما آجي هنا.. بس مبرضاش أقول لزوجي كدة عشان ميزعلش»

تركت الأم ابنتيها التوأم في السنوات الأولية من المرحلة الابتدائية عند أهل زوجها مؤيدي السيسي الذين نادرا ما يتحملونها فتضطر الأم لترك الفتيات مع صديقاتها، في حين تحمل معها طفلها الأصغر ومتطلبات الزيارة كما تحكي الأم.

شهور طويلة تقضيها الأم تزور فيها زوجها المعتقل ونادرًا بل يكاد ينعدم زيارة أهل الزوج له نظرًا لخلافاتهم السياسية معه، « «فلان الفلاني»

استمعت الأم لاسم زوجها من فرد الأمن الذي استأنف «ميستحقش الزيارة..عشان في حد زاره يوم كذا قبل أقل من أسبوع» يبدو أن أهل زوجها زاروه دون أن يخبروها هكذا توقعت الأم.

ولكن إن حدث ذلك فالأم تستحق زيارة زوجها لأن اليوم الذي ذكره فرد الأمن هو يوم زيارة «استثنائية» وهذا النوع من الزيارة تمنحه مصلحة السجون للزائرين في المناسبات ولا يحتسب ضمن أيام الزيارة العادية التي تتطلب فارقا زمنيا مُدته أسبوع، ومن منطلق تلك الحُجة السليمة حاولت الأم مرة تلو الأخرى للتأكيد أنها تستحق الزيارة وتحدثت مع فرد الشرطة ومن يحمل رُتبة أعلى هناك ولكن النتيجة واحدة «روّحي.زوجك لايستحق الزيارة».

فقدت الأم الأمل إذًا من أن تزور زوجها بعد كل هذا العناء في المواصلات حاملةً متطلبات الزيارة وطفلها، والساعات الطويلة التي ضاعت في الطريق، تلك الساعات التي سبقها ساعات أخرى من التحضير إلى الزيارة وطهي الطعام وخلافه، فطلبت من أحد الزائرين الذي يمكث في نفس زنزانة زوجها أن يُدخل بمتطلبات الزيارة كي يُدخلها لزوجها.

«مين اللي مدخل حاجات غير حاجات اللي داخل يزوره؟» صاح أحد أفراد الأمن متسائلاً بغضب قاطعًا الزيارة، فرد الشاب الذي استجاب لطلب الأم «أيوة أنا»... «طيب حلو أهه انت بأة مش هتدخل حاجاتك لأخوك عشان اللي انت عملته ده» هدده فرد الأمن وبعد حديث متبادل بين الشاب وفرد الأمن قَبل الأخير بإدخال أغراض الزيارتين وتنازل عن تهديده، العجيب أنه في الوقت الذي كان الشاب يزور شقيقه وبقية الأهالي يزورون ذويهم، خرج بالفعل زوج الأم إلى الزيارة، ولكنه قضاها وحيدًا بعدما مُنعت زوجته من زيارته المُستحقة!!

قلم وميدان

فكر ثورة ... ثورة فكر

رسائل الثوار

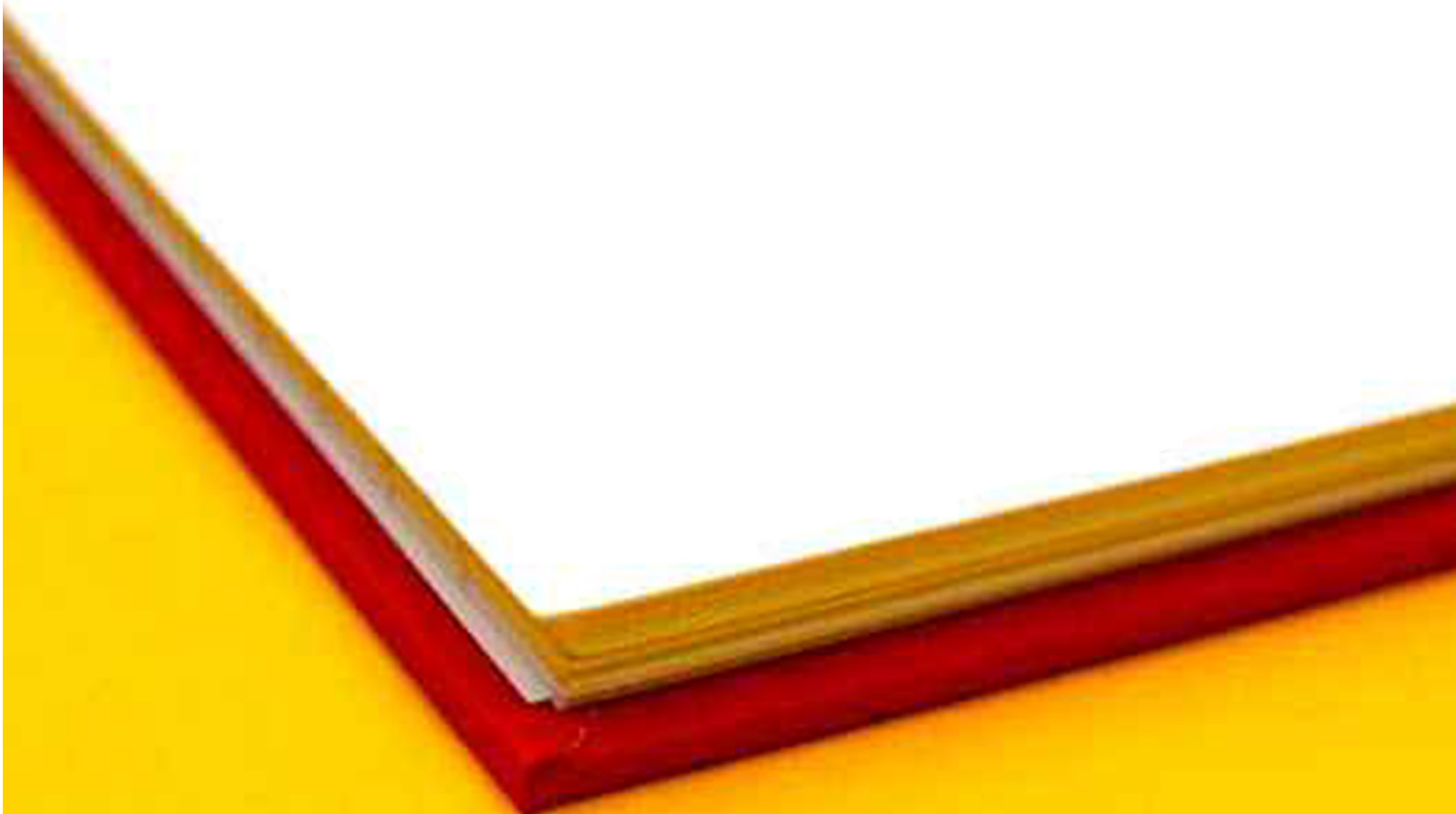

أبناء ولكن ثوار..

تحمل رسائل الأبناء المعتقلين إلى آبائهم مزيدا ومزيدا من الألم وفي الوقت نفسه تطمئنا على المستقبل المليء بمثل هؤلاء الفتية الأقوياء على المعاناة والانتهاكات..

(١)رسالة من حرة لأمها التي لا تستطيع رؤيتها

أرسلت الحرة «روضةخاطر»-من فتيات دمياط المعتقلات بسجن بورسعيد- رسالة رقيقة لوالدتها التي حرمت من رؤيتها على مدار قرابة عشرة أشهر

في بداية الرسالة تشعر أنها من طفلة صغيرة ثم تكشف أنها من قلب كبير:

« بسم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمي :

أخبارك إيه يا حبيبتي يا ماما؟ صحتك عاملة إيه؟!

يا رب تكوني بخير وصحة وسعادة دايماً

وحشتيني جداً

عجبتك (ما دام الأمل طريقاً فسنحيا)؟ هههه طب على فكرة دي مش من تأليفي عشان بس ما تنخدعيش، دي جملة من أغنية كرتون عهد الأصدقاء

أنا كتبت كذا خاطرة بقى وعايزاكي تشوفيهم...

** وكنت كلما غابت عن المنزل يوماً أو بعض

يوم..
رأيت الظلمة تملأ أركانه ونواحيه !
عن زهرة حياتي أتكلم..
عن أمي الحبيبة
.....
** وكنت كلما وجدت محبة الناس لها..
عرفت أن محبتها كانت في أهل السماء أولاً قبل أن تكون في أهل الأرض..
هكذا أحسبها ولا أزكيها على الله..
عن أمي الغالية أتحدث
.....
** وكنت كلما ساءني النظر إلى وجوه من حولي...
كفتني لذة النظر إلى وجهها المستنير،
إنها أمي يا رفاق !
.....
** وكنت كلما خَرجتُ من المنزل، أنتظر منها تلك الكلمة : «اللهَ»... لأرد أنا عليها : «خيرٌ حافظا»..
إنها أمي يا معشر الأمهات
.....
** وكنت كلما أبصرت بداخلي..
وجدت قبساً من نورها فمكثت أتأمله !
إنها أمي يا أساتذة
.....
** وكنت كلما سألتها: هل تحفظين كتاب الله؟
تجيبني قائلة: لا
إنما هو من يحفظني
إنها أمي يا سادة
.....
** وكنت كلما مسّتني رياح الجزع، أذكر دعاءها

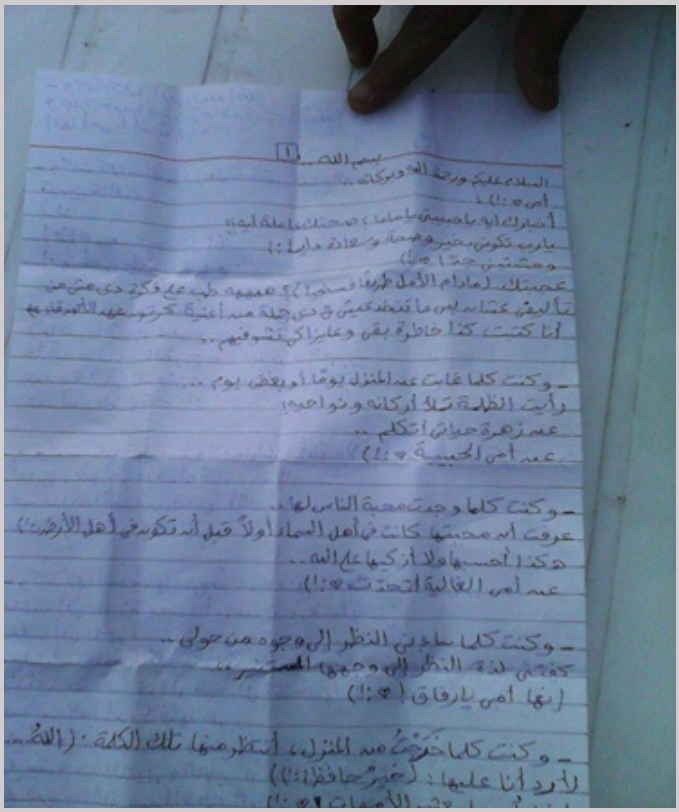

« يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث...»فأجد مفتاح الفرج من جديد - الصبر-
عن معلمتي الأولى في هذه الحياة أكتب..
عن أمي الغالية
.....
** وكنت كلما قرأت: «ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما « تذكرت سوء أدبي معها فوددت لو كنت نسياً منسيا !
عن مالكة الجنة تحت قدميها أتحدث !
عن أمي الحبيبة
.....
** وكنت كلما أسديت لها معروفاً، وجدتها شديدة الدعاء لي !!
فعلمت أني عاجزة عن رد أي من جميل فضلها على !
وعلمت أني عاجزة عن توفيتها حقها حتى من الدعاء !

وعلمت أن معروفي لا يعد مثقالاً من ذرة في

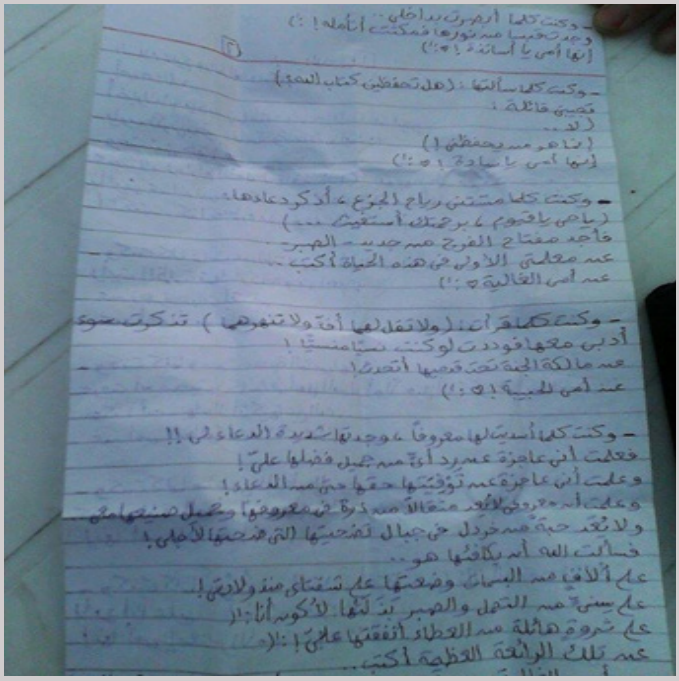

معروفها وجميل صنيعها معي
ولا يعد حبة من خردل في جبال تضحيتها
التي ضحتها من أجلي !
فسألت الله أن يكافئها هو...
على آلاف من البسمات وضعتها على شفتاي
منذ ولادتي.
على سِنين من التحمل والصبر بذلتها لأكون
أنا
على ثروة هائلة من العطاء أنفقتها على
عن تلك الرائعة العظيمة أكتب
عن أمي الغالية أتحدث..
روضة «

(٢) رسالة من «عبد البصير عبد الروؤف» لأمه

١٧٤ غرب عسكري، وهو أصغر محكوم في القضية عمرة ١٩ سنة..ووالده مختفٍ قسريا

السلام عليكم
أمي الحبيبة أكتب إليك بعد سماعك الحكم
الذي لم أكن أعلمه وأنا أكتب إليك هذه
الكلمات
اعلمي يا أمي أنه لن يكون في ملك الله إلا ما
أراده الله
فما حدث اليوم ما كان ليحدث لولا إرادة الله
« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ»
أمي اعلمي أنه جفت الأقلام وطويت الصحف
فاشكري الله على نعمة الاصطفاء والابتلاء
فوالله ما أراد الله بنا إلا خيرا
فالله يبتلي المرء ليُعلي من شأنه وقدره
فهنيئا لك يا أمي حب الله واصطفائه
اعلمي يا أمي أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها
ومادام الله اختارك لهذا، فهو يعلم أنك
تستطيعي تحمل هذا.

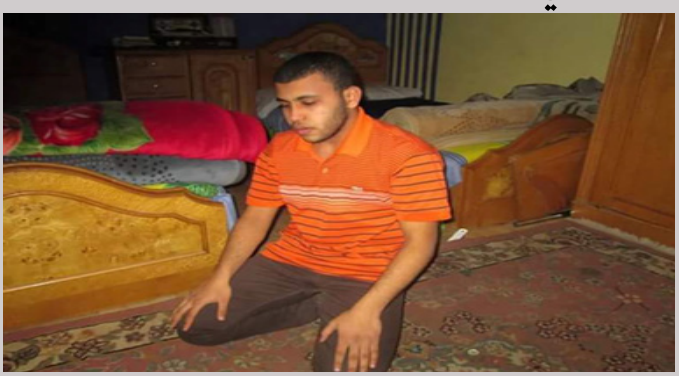

ولو زاد الله لك في الابتلاء، لكان ذلك بعلم
الله المسبق أنك بوسعك التحمل. فاللهم لك
الحمد.
أمي لا أطلب منك الصبر على البلاء، ولكن
لا أرضى بأقل من الرضا بقضاء الله.. فقضاء
الله كله خير.
ولن يغير حزن أو سخط من قضاء الله
لأن قضاء الله نافذ لامحالة...
ومادام قضاء الله نافذا فليس لنا إلا الرضا.

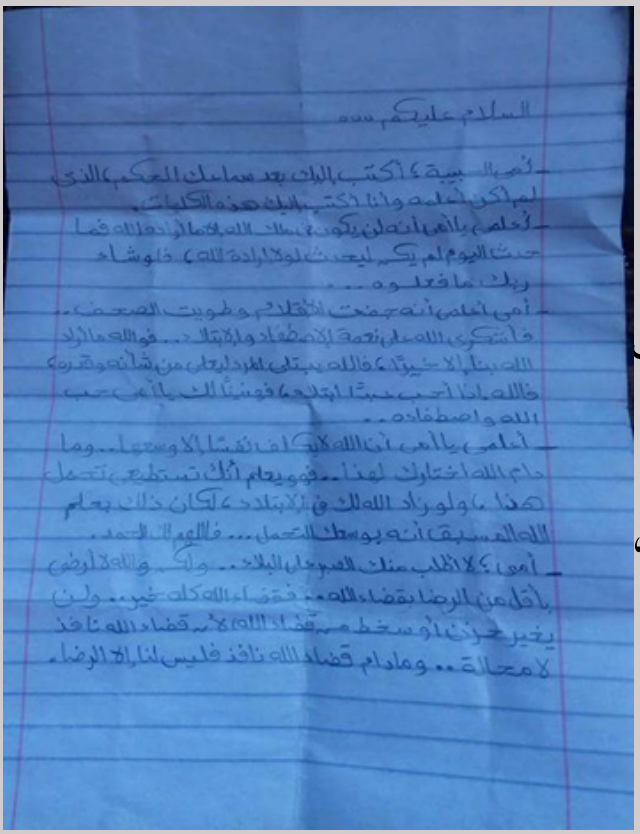

أمي اعلمي أنهم
لو اجتمعوا على أن ينفعونا بشيء
لن ينفعونا إلا بشيء قد كتبه الله لنا.
ولو اجتمعوا على أن يضرونا بشيء
لن يضرونا إلا بشيء قد كتبه الله علينا...فاطمئني.
(عَجَبًا لأَمْرِ المؤمنِ إِنَّ أَمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ ليسَ ذلكَ لأَحَدٍ إلا للمُؤْمنِ إِنْ أَصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإِنْ أَصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ).
ادعوا الله يا أمي وأنتم على ثقة ويقين في قدرة الله،
واعلمي أنه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون،،
وأنه سبحانه وتعالي غالب على أمره
ولكن أكثر الناس لا يعلمون.
إذا فلا تضيقي ذرعا فمن المحال دوام الحال
وأفضل العبادة انتظار الفرج، الأيام دول والدهر
قلب، والليالي حبلى، والغيب مستور والحكيم كل يوم هو في شأن
لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا

أصحاب الكلمة الحرة...يصدعون بها حتي من خلف القضبان

رسالة من الصحفي عبد الرحمن ياقوت، المحتجز احتياطيًا منذ ٢١ مارس ٢٠١٥، ليتخطى بذلك حاجز العام في جلسته القادمة بتاريخ ٢٠ إبريل ٢٠١٦.
وقال ياقوت في رسالته، إن «أقصى أحلامنا أصبحت أن يتم نقلنا إلى غرفة أخرى»، مشيرًا إلى أن الزنزانة لا تسع ١٥ شخصًا ليضع بها ٢٧ شخصًا، وتابع: «أصبح كل منا صديق درب وضرب أيضًا».
وإلى نص الرسالة:
«هل مازال أحد يحتفظ بإنسانيته في الخارج؟ سؤال يراودك دائمًا وأنت جالس في إحدى الزنازين هي كالمقابر، بعد أن ألقوا بأجسادنا البالية فيها، فبعد أن كنا ذو أحلام فارقة تناطح السحاب، أصبحت أقصى أحلام المحبوس منا أن يتم نقله إلى غرفة بها دورتين مياه لتسع الضغط الهائل من العدد الموجود بالزنزانة، أو أن يزيد المكان المخصص، فلم يسلبونا الحرية فقط بل سلبونا أحلامنا، بالأمس القريب كان كل فرد منا ينتظر الليل حتى يفكر في أحلامه وخططه، المستقبلية لتحقيقها، واليوم بعد أن وضعونا في سجون كالمقابر لا تدري بعد أن تطفيء الشمعة، هل أتى الليل أم المساء؟!.

وأصبحنا نخشي من التفكير في أحلامنا أو الخطط المستقبلية تجنبًا من أن يصاب أحد منا بحالة نفسية تزيد مع الوقت إلى أمراض جسدية تؤدي به في النهاية إلى الاستعانة بالسجان الذي اعتاد كل منا على رده قبل أن يغلق الباب مستنكرًا ايقاضة ليلًا لإيقاظ مريض من غيبوبة سكر أو تسمم.

المستشفى أغلقت، الصباح له عيون، وأصبحت أرواحنا ليست ذات قيمة مثلها مثل التراب، فلا يكتفي بذلك فقط، فتجد أن كل زنزانة لا تسع ١٥ شخصا ليضع بها ٢٧ شخصا، فعرفت الزنزانة السياسي بالشبروالقبضة فكل من فيها صديق درب وضرب أيضًا».

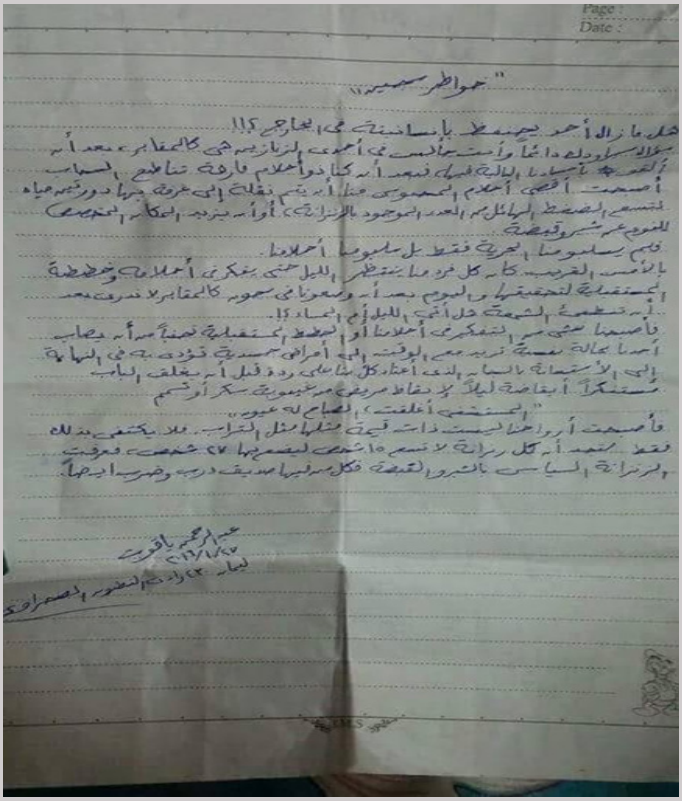

رسالة طبيب معركة «الأمعاء الخاوية»...«د.إبراهيم اليماني»

ولنا هنا أن نلقي الضوء على بعض ما سطرته أنامل الأطباء المعتلقين وذلك في السياق الذي تنتفض فيه نقابتهم من أجل كرامة المهنة..

فطبيب الامتياز المعتقل «إبراهيم اليماني» يفقد حريته منذ أحداث مسجد الفتح ١٦ أغسطس ٢٠١٣، والتي كان يشارك فيها كطبيب يؤدي واجبه في إسعاف المصابين، هو الآن بطل جديد لمعركة «الأمعاء الخاوية» يمارس الإضراب الكلي منذ ٢٥ ديسمبر ٢٠١٣ وحتى الآن قطعه فقط ٢٣ يوما من فك الإضراب بعد التعذيب والإهانات المتكررة، ثم عاد إليه مرة أخرى وحتى الآن ليثبت أن الحرية هي أغلى من كل انتهاكات الجسد.

يكتب د. إبراهيم اليماني فيقول:

«في كل البلاد منظمات.. ومن المنظمات ما هو حقوقي.. ومنوط بالحقوقي أن يستقبل شكوى الظلم والإستبداد ويحيلها قضية رأي عام وقضية الإنسانية..
بيد أن «كل البلاد» مستثنى منها «كل البلاد العربية» !!

وبعد مرور ٥ سنوات على ثورة يناير، تطوف ذاكرة هذا الشاب المناضل على ملامح ما تعرض له طيلة تلك السنوات خاصة التي قضاها في معتقله وراء القضبان بعد الانقلاب..
يقول اليماني في الذكرى الخامسة للثورة في ٢٥ يناير ٢٠١٦:

«أول ما أكتبه بعد الحروق التي أصابت يدي وظهري فلم أستطع الكتابة بسببها..

أصابتني، وبعد حفلة من الإهانة والضرب أعادوني إلى زنزانتي..

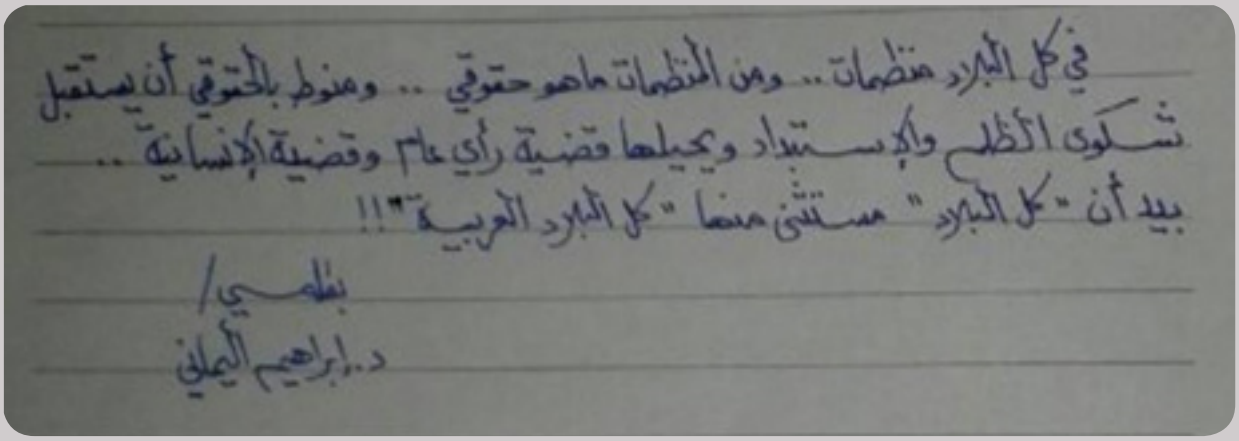
في كل البلاد منظمات .. ومن المنظمات ماهو حقوقي .. ومنوط بالحقوقي أن يستقبل شكوى الظلم والإستبداد ويحيلها قضية رأي عام وقضية الإنسانية .. بيد أن "كل البلاد" مستثنى منها "كل البلاد العربية"!!

بقلمي/
د.إبراهيم اليماني

أصبحت ذكرى يناير ذكرى مرعبة بالنسبة لي..

في ٢٥ يناير ٢٠١٤ اقتحمت القوات الخاصة زنزانتي، وطلبوا مني الوقوف والنظر تجاه الحائط، ولأني حينها كنت مضربا عن الطعام لم أستطع فاعتدوا عليَّ بالضرب حتى فقدت وعيي، وبعدها نقلوني إلى المستشفى وأرادوا تعليق محاليل لي فرفضت إلا بعد إثبات إضرابي فكالوا لي سيلا من السباب والضرب وأعادوني إلى زنزانتي..

وفي يناير ٢٠١٥ تم نقلي إلى عنبر التأديب بسجن طرة لإثنائي عن إضرابي الثاني عن الطعام دون بطاطين ولا ملابس ثقيلة وكان الطقس شديد البرودة، واعتدوا عليَّ بالضرب، فأضربت عن المياه لمدة ٥ أيام تقريبا فازدادت حالتي الصحية تدهورا، وبعدها أخرجوني من التأديب مخافة موتي..

أما في ليلة ٢٥ يناير ٢٠١٦ تم إخراجي من الزنزانة بشكل مرعب لمقابلة الضابط الذي اعتدى عليَّ بسبب شكوى تقدمت بها والدتي منذ شهرين بسبب إهمال حالتي بعد الحروق التي أصابتني، وبعد حفلة من الإهانة والضرب أعادوني إلى زنزانتي..

أصبحت أخاف ذكرى يناير !!

أخبروني.. هل ذلك الذي حدث هو من باب المصادفة ؟!

يا من تقولون إنه ليست هناك منهجية للتعذيب في السجون.. أجيبوني !»..

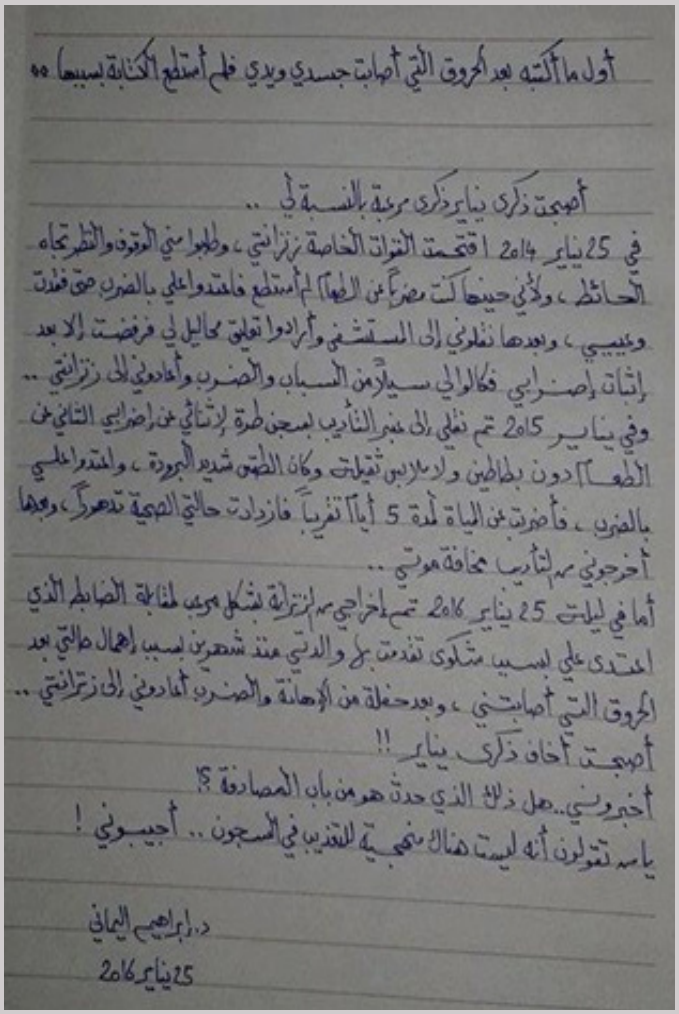
أول ما أكتبه بعد الحروق التي أصابت جسدي ويدي فلم أستطع الكتابة بسببها ..

أصبحت ذكرى يناير ذكرى مرعبة بالنسبة لي ..

في 25 يناير 2014 اقتحمت القوات الخاصة زنزانتي، وطلبوا مني الوقوف والنظر تجاه الحائط، ولأني حينها كنت مضرباً عن الطعام لم أستطع فاعتدوا عليَّ بالضرب حتى فقدت وعيي، وبعدها نقلوني إلى المستشفى وأرادوا تعليق محاليل لي فرفضت إلا بعد إثبات إضرابي فكالوا لي سيلاً من السباب والضرب وأعادوني إلى زنزانتي ..

وفي يناير 2015 تم نقلي إلى عنبر التأديب بسجن طرة لإثنائي عن إضرابي الثاني عن الطعام دون بطاطين ولا ملابس ثقيلة وكان الطقس شديد البرودة، واعتدوا عليَّ بالضرب، فأضربت عن المياه لمدة 5 أيام تقريباً فازدادت حالتي الصحية تدهوراً، وبعدها أخرجوني من التأديب مخافة موتي ..

أما في ليلة 25 يناير 2016 تم إخراجي من الزنزانة بشكل مرعب لمقابلة الضابط الذي اعتدى عليَّ بسبب شكوى تقدمت بها والدتي منذ شهرين بسبب إهمال حالتي بعد الحروق التي أصابتني، وبعد حفلة من الإهانة والضرب أعادوني إلى زنزانتي ..

أصبحت أخاف ذكرى يناير !!

أخبروني.. هل ذلك الذي حدث هو من باب المصادفة ؟!

يا من تقولون أنه ليست هناك منهجية للتعذيب في السجون .. أجيبوني !

د.إبراهيم اليماني
25 يناير 2016

قلم ومیدان

فكر ثورة .. ثورة فكر

Qalam.wa.maidan@gmail.com
kalm.midan@eipss-eg.org

لسانها ثورة يناير

العدد الثالث مارس 2016